حضارة الصين

صلاح محمد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

١٥ش ابراهيم خليل المطرية

ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب :حضارة الصين
المؤلـــف : صلاح محمد
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ٩٥٥٢
الطبعة الأولى : ٢٠١٩

فهرسة أثناء النشر

محمد ، صلاح
حضارة الصين/ إعداد صلاح محمد ؛ . – القاهرة .-
ط١: مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٩
١٦٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : ٧-٩٣-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨
١ –
ب. العنوان ٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن
قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا)

صدق الله العظيم
طه ١١٤

مُقَدِّمَة

الصين هي مهد الحضارات، حيث يبدأ تاريخها المعروف بحضارة قديمة – واحدة من أقدم حضارات العالم – والتي ازدهرت على حوض النهر الأصفر الخصيب في سهل الصين الشمالي. لألف عام، كان النظام السياسي الصيني يعتمد على الملكية الوراثية، والمعروفة باسم الأسرات، والتي بدأت بأسرة شيا الشبه–أسطورية على حوض النهر الأصفر منذ عام ٢٢١ ق.م، عندما غزت أسرة تشين العديد من الدويلات من الإمبراطورية الصينية، توسعت البلاد، تفتت وتوحدت عدة مرات. أطاحت جمهورية الصين بآخر الأسرات عام ١٩١١، وحكمت البر الصيني حتى عام ١٩٤٩.

بعد الحرب العالمية الثانية، هزم الحزب الشيوعي الكومن تانگ الوطني في البر الصيني وأسس جمهورية الصين الشعبية في بكين في ١ أكتوبر ١٩٤٩، ونقل الكومن تانگ مقر حكومة جمهورية الصين إلى عاصمتها الحالية تايپيئ.

الصين، رسمياً جمهورية الصين الشعبية (PRC)، هي دولة سيادية في شرق آسيا. وتعتبر من أكثر البلدان اكتظاظاً بالسكان، حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من ١,٣٥ بليون نسمة. جمهورية الصين الشعبية هي دولة حزب واحد يحكمها الحزب الشيوعي الصيني، ويقع مقر الحكومة في العاصمة بكين. للصين ولاية قضائية على ٢٢ مقاطعة، وخمس مناطق حكم ذاتى وأربع بلديات تحت الإدارة المباشرة (بكين، تيان جين، شانغهاي وتشونگچينگ).

ومنطقتان إداريتان خاصتان يتمتعان بقدر كبير من الحكم الذاتي (هونگ كونگ ومكاو)؛ وتطالب الصين بالسيادة على تايوان.

بمساحة تبلغ ٩,٦ مليون كيلومتر مربع، تعتبر الصين ثاني أكبر بلد في العالم من حيث مساحة الأراضي، وثالث أكبر بلد في العالم من حيث إجمالي المساحة، تتمتع الصين بطبيعة شاسعة ومتنوعة، من سفوح الغابات وصحراء گوبي وتاكلاماكان في الشمال القاحل إلى الغابات شبه الاستوائية في الجنوب المطير.

تفصل سلاسل جبالا الهيمالايا ، كراكورام ، بامير ويتان شانا الصين عن جنوب ووسط آسيا. نهر يانگتسه والنهر الأصفر، ثالث وسادس أطول نهرين في العالم، يجريان من هضبة التبت إلى الساحل الشرقي المكتظ بالسكان. الساحل الصيني المطل على المحيط الهندي يمتد بطول ١٤,٥٠٠ كم، ويحده بحر بوهاي، البحر الأصفر، بحر الصين الشرقي، والجنوبي.

أصل التسمية والهوية

تُشتق لفظة "تشينا China" من الكلمة الفارسية "چين" (نقحرة: تشين)، وهي أيضًا أصل جميع المسميات الأوروپية المعاصرة لتلك البلاد، ويرجع الفضل في إيصال هذا اللفظ إلى أوروپا، إلى الرحّآلة البندقي ماركو پولو. بالمقابل تجد اللفظة الفارسية أصلها في الكلمة السنسكريتية "تشيناس" (بالسنسكريتية: चीन)، وهو الاسم الذي استخدم للصين في بلاد الهند منذ حوالي سنة ١٥٠.

قال عدد من المؤرخين والخبراء اللغويين بأصول مختلفة لكلمة "الصين"، لكن أبرز تلك النظريات وأكثرها شيوعًا، هي التي قال بها المؤرخ الإيطالي "مارتينو مارتيني"، ومفادها أن "China" مشتقة من اسم دولة "تشين Qin" (秦)، وهي أقصى الممالك غرباً في عهد أسرة ژو التي وحدت الصين لتشكل أسرة تشين. إلا أن آخرين يقترحون أصولاً أخرى لكلمة "تشينا".

تنص مخطوطة "مهابهاراتا" الهندوسية، و"مجموعة قوانين مانو"، أن بلاد "تشيناس" تقع شرق الهند، وراء الحدود التبتية البورميّة. من التفسيرات الأخرى لأصل اسم هذه المنطقة، ما قيل بأنها مُشتقة من الاسم الذي أطلقه شعب مملكة "يلانگ" القديمة على أنفسهم، حيث كتبوا أنهم "زينيّون" وبلادهم هي "زاينا".

الهوية الصينية :

هناك ٥٦ مجموعة عرقية معترف بها رسميًا في الصين، ومن بين كل هذه الأرقام تُعد قومية هان من أكبر المجموعات. وعلى مر التاريخ فإن الكثير من المجموعات تندمج في الأعراق المجاورة أو تختفي. إن الهوية التقليدية داخل المجتمع لها علاقة بشكل كبير مع تمييز اسم العائلة.

إن الهوية التقليدية داخل المجتمع تقوم بتمييز اسم العائلة بشكل كبير. الإقليم المقال الأساسي كنوز الأسلاف الثلاثة تغطي الثقافة التقليدية الصينية أقاليم جغرافية كبيرة، حيث إن المناطق مقسمة إلى ثقافات فرعية مستقلة. غالبًا ما تمثل كل منطقة ثلاثة مواضع مستمدة من الأسلاف.

وعلى سبيل المثال فإن قوانغدونغ (غوانغدونغ) متمثلة بتشينبي (chenpi) و(اجيد جينجر(aged ginger)) وهاي..(hay) وتشمل الأخرى المدن القديمة مثل لينان هانغتشو (هانغتشو)، التي تشمل أوراق الشاي و الخيزران الجوز الجذع وجوز الخيزران.

تاريخ الحضارة الصينية

ما قبل التاريخ :

عاش الناس فيما يطلق عليه الآن اسم شمالي الصين قبل بداية تدوين التاريخ، فإنسان بكين عاش ما بين ٥٠٠,٠٠٠-٢٥٠,٠٠٠ سنة مضت. شهدت المنطقة تطورات العصر الحجري. واحتضنت الصين حضارتي يانگشاو ولونگشان. بلغت حضارة يانگشاو أوْجها حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م. وامتدت هذه الحضارة من الوادي الأوسط هوانگ هي إلى الإقليم المعروف حاليًّا باسم گانسو، ثم حلت محلها حضارة لونگشان التي انتشرت في أرجاء البلاد كافة. عاش شعب هذه الحضارة داخل الأسوار، وزرعوا الأرز والدخان وربوا الأبقار والأغنام.

العصر الحجري القديم :

على هذه الأراضي الشاسعة نشأت حضارة الصين التي تُعد من أقدم الحضارات في العالم، وهي وحدها، من بين أربع حضارات عريقة، تواصلت فيها الحضارة ولم تنقطع، مثلها مثل حضارة وادي النيل وحضارة بلاد ما بين النهرين وحضارة الهند القديمة.

لقد اكتُشف في الصين متحجرات الإنسان البدائي في «يواگو» بمقاطعة« يونّان » إنسان (يواگو) الذي عاش قبل (١,٧) مليون عام تقريباً. وظهر« إنسان بكين » الذي عاش في « زوكوديان » بالقرب من بكين قبل ٦٠٠ ألف عام تقريباً.

ويتصف بالمميزات الأساسية للإنسان، إذ استطاع المشي معتدل القامة، وصنع أدوات حجرية بسيطة واستعملها، كما عرف كيف يستخدم النار ويسيطر عليها، وانتشرت آثار العصر الحجري الحديث قبل عشرة آلاف سنة تقريباً في أنحاء الصين، واكتشف الأرز وحبوب الدخن التي زرعها الإنسان وبقايا أدوات زراعية في مواقع« خيمودو » في «يويتاو » بمقاطعة «ژجيانگ Zhejiang» وبانيوه في« شيآن Xi’an» التي يعود تاريخها إلى ما قبل الألف السابع قبل الميلاد.

العصر الحجري الحديث :

واحتضنت الصين حضارتي يانگشاو وحضارة لونگشان، وقد بلغت حضارة يانگشاو أوْجَها حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م. وامتدت هذه الحضارة من الوادي الأوسط هوانج هي إلى الإقليم المعروف حاليًا باسم گانسو، ثم حلت محلها حضارة لونگشان التي انتشرت في أرجاء البلاد كافة. عاش شعب هذه الحضارة داخل الأسوار، وزرعوا الأرز والدخن وربوا الأبقار والأغنام.

حكم الأسرات المبكر

انبثق عن لونگشان حضارة أسرة شانگ الحاكمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. نشأ خلال هذه الحضارة مجتمع متطور تحكمه بالوراثة طبقة أرستقراطية. إن أهم ما قدمته هذه الحضارة، وما زال شاهدًا على عراقتها، يتمثل في الأواني البرونزية الضخمة وتماثيل الخيول والعربات، ووضعها لنظام كتابة خاص بها.

ولى السلالات (الأسر) الصينية الحاكمة، أسرة شانگ في وادي هوانگهي خلال القرن الثامن عشر ق.م. وحكمت الصين حتى عام ١١٢٢ ق.م.

أسرة شانك :

أولى الأسر الصينية الحاكمة، أسرة شانگ في وادي هوانگ هي خلال القرن الثامن عشر ق.م. وحكمت الصين حتى عام ١١٢٢ ق.م. انبثق عن حضارة لونگشان حضارة الأسرة الحاكمة شانج في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. نشأ خلال هذه الحضارة مجتمع متطور تحكمه بالوراثة طبقة أرستقراطية. إن أهم ما قدمته هذه الحضارة، وما زال شاهدًا على عراقتها، يتمثل في الأواني البرونزية الضخمة وتماثيل الخيول والعربات، ووضعها لنظام كتابة خاص بها.

في عام ١١٢٢ ق.م. قام سكان غربي الصين بإنهاء حضارة شانگ، وأقاموا بدلاً منها حضارتهم، وهي حضارة أسرة تشو التي حكمت الصين حتى عام ٢٥٦ ق.م. وفي عام ٥٠٠ ق.م. ظهر الفيلسوف كونفوشيوس

الذي حوَّل الناس من الدين إلى الفلسفة، كما كان عليه الحال في اليونان. إبان تلك الحقبة الزمنية خلال فترة حكم تشو وتحارب الحكام من أجل بسط نفوذهم على الأراضي الصينية كافة.

قبل نحو أربعة آلاف عام قبل الميلاد.استوعب الصينيون فن صهر البرونز، وقبل أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، أي في عهد أسرة شانگ نحو (١٧٠٠ 1046-ق.م) بدؤوا يستخدمون الأدوات الحديدية، وفي مجال صناعة الفخار، تم إنتاج أدوات الفخار الأبيض والفخار الملوّن، كما تطور نسيج الحرير، فظهرت أول فنون نسيج الحرير «الجيكاري» في تاريخ العالم.

أسرة ژو الغربية:

في أسرة تشو (١٠٤٦.٢٥٦ق.م) ظهر في الصين فن صناعة الفولاذ، وفي هذا العصر وعصر الممالك المتحاربة كانت النشاطات العلمية والفكرية في تطور لم يسبق له مثيل، إذ ظهر الفيلسوف «لاو تسي Lao Tzu»و «كونفوشيوسConfucius» ، و«منشيوس » Mencius، والاستراتيجي « سون وو » الذين أثروا تأثيراً عميقاً واسعاً في الأجيال اللاحقة.

أسرة تشين :

حكمت في الفترة من ٢٢١ ق.م إلى ٢٠٦ ق.م. وقد بدأت هذه العائلة المالكة عقب قيام شي هوانجدي، حاكم دولة تشين في شمال غربي الصين، بغزو الدول المنافسة الواقعة في شمالي الصين ووسطها. وقام في وقت لاحق بتوسيع نطاق حُكْمِه إلى جنوب شرقي الصين،

وتمتعت هذه العائلة المالكة بسيطرة كاملة على المناطق التي حكمتها. وكان زعماء القبائل الصينيون يحظون، في وقت سابق، بنفوذ كبير في أقاليمهم. وحكم شاي شي هوانجدي إمبراطوريته بقبضة حديدية، وجعل الحُكام المحليين السابقين ينتقلون إلى عاصمته الجديدة الهائلة، في شيانيانـج، وعيّن إداريين محليين كانوا مسؤولين أمامه، وقام بالحظر على معظم الكتب، في محاولة منه لفرض الصمت على المنتقدين، ولفرض الطاعة، ولحجب المعرفة بالماضي. وأمر أعداداً كبيرة من العاملين بإكمال سور الصين العظيم، للحيلولة دون تقدم الغزاة، ولكنه قدم لبلاده هدفًا أعلى باقيًا هو الوحدة الوطنية، وقد أُخذ اسم الصين من اسم هذه العائلة المالكة.

استمدت الأسرة اسمها من اسم دولة تشين الغربية، والتي أنهت حكم أسرة " تشو " أخذ حكام أسرة "تشين" في احتلال ثم ضم الممالك الصينية المجاورة لهم، فتحت جيوشهم مناطق" سيشوان"، "يوننان"، و"غيتشو "في الجنوب، ووصلت حملاتهم حتى النهر الأحمر، "لانتشو " وكوريا في الشمال.

ومات شي هوانجدي في 210 ق.م .وتبين أن ابنه حاكم ضعيف، وبدأت عمليات التمرد على حكمه في 209 ق.م، وسرعان ما انهارت أسرة تشين المالكة، ثم حظيت أسرة هان المالكة بالسيطرة على الصين.

وحدة البلاد :



الإمبراطور شي هوانجدي

في سنة ٢٢١ ق.م اتخذ الحاكم لقب" شي هوانغدي " قام بتوحيد الممالك، واستحدث مع كل مملكة جديدة قام بضمها تقسيمًا إداريًّا جديدًا، كان هذا التقسيم الجديد يقوم على نظام مركزي، كما جاء الجزء الأكبر من تعداد جيوشه من المقاطعات المختلفة وعن طريق تجنيد أبناء الفلاحين.

ساهم "لي سي" بقدر كبير في عملية الإصلاحات الجديدة، كان الرجل من أتباع فلسفة الشرعية (كانت تدعو إلى التقيد الصارم بالقوانين)، ومن مريدي الفيلسوف" هان فاي " تم تقسيم البلاد إلى ست وثلاثين (٣٦) مقاطعة (ثم إلى ٤٢ في مرحلة لاحقًا)، تقوم الحكومة المركزية بتعيين الحكام في هذه المقاطعات، الأهلية وحدها التي كانت تؤهل الشخص لتولي أحد المناصب وليس الروابط الأسرية.

أُجبر النبلاء من الحكام السابقين على هجرة مناطقهم الأصلية والإقامة في العاصمة الإمبراطورية، من أهم الخطوات التي تم اتخاذها: توحيد الموازين (المكاييل)، ووحدات القياس، العملة، أقطار العجلات واللغة المكتوبة. أصبحت كل هذه الوحدات نفسها عبر كامل تراب الإمبراطورية.

الشرعوية :

الشرعوية (Legalism) هي الاتباع الحرفي للقانون أو للبيروقراطية دون أدنى تفكير أو منطق الشيء الوحيد الذي عكر صفو هذه الإصلاحات هو الطريقة الاستبدادية والشمولية التي نشرت بها الدولة فلسفتها الرسمية الشرعوية، ففي عام 213 ق.م. تم حرق كل كتب المدارس الفلسفية الأخرى، فقط الكتب التي كانت تضمها المكتبة الإمبراطورية استُبقي عليها، تم دفن الآلاف من رجال العلم وهم أحياء بسبب آرائهم، وأُجبر البعض الآخر على الأعمال الشاقة، كان" شي هوانگ دي " بحاجة إلى كل اليد العاملة المتوفرة حتى يبنى السور العظيم، ويحمي الحدود الشمالية لإمبراطوريته.

النهاية :

توفي" شي هوانگ دي "في شرقي الصين عام ٢١٠ ق.م وتم دفنه في الضريح الضخم في" لينتونغ"، غير بعيد عن (شيآن). لم يستطع ثاني الأباطرة من أسرة "تشين" والذي اتخذ لقب "إر هوانغدي"" أن يصمد في وجه الأزمات التي أحاطت به. سنة ٢١٠ ق.م اندلعت أولى الثورات ضد حكم أسرة "تشين".

كانت الضرائب الثقيلة التي فُرضت ونظام التجنيد الإجباري من أهم الأسباب، كما أن الممالك السابقة والتي ضُمت بقوة، بدأت تستهويها فكرة الانفصال مجددًا على غرار مملكة" تشو "في الجنوب. انشطرت الإمبراطورية سريعًا، إلا أن الأمر لم يدُم طويلاً فبرزت شخصية "ليو بانغ" والذي استطاع أن يعيد للبلاد وحدتها من جديد واتخذ لقب" غاو تسو"، وكان بذلك أول حكام أسرة " هان" .

الإرث :

قامت أسرة "هان" والسلالات اللاحقة باعتماد العديد من المؤسسات التي استحدثها الـ"تشين"، بما في ذلك القانون العقابي الصارم. رغم أنهم لم يحكموا إلا خمس عشرة سنة، يرجع الفضل لهذه الأسرة في إعطاء الرقعة الجغرافية لبتي تحتلها الصين اليوم شكل الدولة السياسية، بقي هذا الشكل رغم تحولاته العديدة، وعمَّر لأزيد من ألفي سنة، كما أعطت للبلاد اسمها (صين) هو تحوير لاسم تشين.

أسرة هان

سلسلة من الأباطرة حكمت الصين لمدة تزيد على ٤٠٠ سنة، وازدهرت تحت حكم آل هان، العلوم والآداب، وأصبحت الصين واسعة وقوية مثل الإمبراطورية الرومانية، ولا يزال الصينيون يسمّون أنفسهم آل هان، وذلك اعترافًا بالإنجازات التي حققتها الصين خلال تلك الفترة.

أعقب موت شى هوانج دى عهد من الفوضى والاضطراب، ذلك أنه في وسع إنسان أيًّا كان أن يجمع السلطة كلها في يده ويحسن التصرف فيها. وثار الشعب إلى ابنه وقتله بعد أن قتل هو لي سيو بقليل، وقضى على أسرة تشين، ولم يمض على وفاة مؤسسها أكثر من خمس سنين. وأقام الأمراء المتنافسون ممالك متنافسة متعادية وساد الاضطراب من جديد.

ودامت هذه الحال حتى اغتصب العرش زعيم عسكري مغامر مرتزق يدعى جو – دزو، وأسس أسرة هان التي ظلت تحكم البلاد أربعمائة عام كاملة، تخللتها فترات أنزلت فيها عن العرش، وتبدلت فيها العاصمة مرة واحدة. وأعاد ون – دي (١٧٩–٧٥ ق.م.) إلى الشعب حرية القول والكتابة، وألغى المرسوم الذي حرم به هونج – دي انتقاد الحكومة، وجرى على سياسة السلم، وابتدع العادة الصينية المأثورة عادة هزيمة قائد الجيش العدو بتقديم الهدايا إليه.

وكان وو – دي أعظم الأباطرة من أسرة هان؛ وقد حكم البلاد زهاء نصف قرن (١٤٠–٨٧ ق.م.) وصد البرابرة المغيرين، وبسط حكم الصين

على كوريا ومنشوريا وأنام، والهند الصينية والتركستان، وشملت الصين – لأول مرة في التاريخ جميع الأقاليم الشاسعة التي تعودنا أن نقرنها باسمها.

وأخذ وو – دي يقوم بتجارب في الاشتراكية، فجعل موارد الثروة الطبيعية ملكاً للأمة، وذلك ليمنع الأفراد "أن يختصوا أنفسهم بثروة الجبال والبحار، ليجنوا من ورائها الأموال الطائلة، ويُخضعوا لهم الطبقات الدنيا. واحتكرت الدولة استخراج الملح والحديد وعصر الخمور وبيعها. وأراد وو – دي – كما يقول معاصره زوماتشين – أن يقضي على سلطان الوسطاء والمضاربين " الذين يشترون البضائع نسيئة، ويعقدون القروض، والذين يشترون ليكدسوا ما يشترونه في المدن، والذين يخزنون كل أنواع السلع".

فأنشأ نظامًا قوميًّا للنقل والتبادل تشرف عليه الدولة، وسعى للسيطرة على التجارة حتى يستطيع منع تقلب الأسعار الفجائي، فكان عمال الدولة هم الذين يتولون شئون نقل البضائع وتوصيلها إلى أصحابها في جميع أنحاء البلاد، وكانت الدولة نفسها تخزن ما زاد من السلع على حاجة الأهلين، وتبيعها إذا أخذت أثمانها في الارتفاع فوق ما يجب، كما كانت تشتريها إذا انخفضت الأسعار.

وبهذه الطريقة كان "أغنياء التجار وأصحاب المتاجر الكبيرة يُمنعون من أن يجنوا الأرباح الطائلة... وكانت الأسعار تنظم وتتوازن في جميع أنحاء الإمبراطورية". وكان دخل الأفراد كله يُسجل في سجلات حكومية وتؤدى عنه ضريبة مقدارها خمسة في المائة. وكان الأمير يسك النقود المصنوعة من الفضة مخلوطةً بالقصدير لتكثر في أيدي الناس فيسهل

عليهم شراء البضائع واستهلاكها. وشرع يقيم المنشآت العامة العظيمة ليوجد بذلك عملاً لملايين الناس الذين عجزت الصناعات الخاصة عن استيعابهم.

فأنشئت الجسور على أنهار الصين وحُفرت قنوات لا حصر لها لربط الأنهار بعضها ببعض وإرواء الحقول وازدهر النظام الجديد وأفلح إلى حين، وراجت التجارة، وكثرت البضائع وتنوعت، وارتبطت الصين مع الأمم المجاورة لها ومع أمم الشرق الأدنى البعيدة عنها(٢٠). وكثر سكان عاصمتها لو – يانج وزادت ثروتها وامتلأت خزائن الدولة بالأموال، وانتشر طلاب العلم في كل مكان، وكثر الشعراء، وبدأ الخزف الصيني يتخذ منظراً جميلاً جذاباً.

وجمع في المكتبة الإمبراطورية ٣,١٢٣ مجلداً في الأدب الصيني القديم، و٢٧٠٥ في الفلسفة، و١٣٨٨ في الشعر، و٢٥٦٨ في الرياضيات، و٨٦٨ في الطب، و٧٩٠ في فنون الحرب(٢١). ولم يكن أحد يُعين في مناصب الدولة إلا إذا اجتاز امتحاناً تضعه لهذا الغرض، وكانت هذه الامتحانات عامة يتقدم إليها كل من شاء، والحق أن الصين لم يمر بها عهد من الرخاء كالذي مر بها تلك الأيام.

ولكن طائفة من الكوارث الطبيعية مضافاً إليها خبث بني الإنسان قضت على هذه التجربة الجريئة، فقد تعاقبت على البلاد سنون من الفيضان والجدب ارتفعت على أثرها أسعار السلع ارتفاعاً لم تقوَ الحكومة على وقفه. وتضايق الناس من غلو أثمان الطعام والكساء فصاحوا يطالبون بالعودة إلى الأيام الحلوة الماضية، التي أضحت في اعتقادهم

خير الأيام وأكثرها رخاء، وأشاروا بأن يُغلى مقترح النظام الجديد في الماء وهو حي.

ونادى رجال الأعمال بأن سيطرة الدولة قضت على الابتكار الفردي السليم وعلى التنافس الحر، وأبوا أن يؤدوا ما يلزم لهذه التجارب من الضرائب الباهظة التي كانت الحكومة تفرضها عليهم(٢٢). ودخلت النساء بلاط الإمبراطور وبسطن نفوذهن السرى على كبار الموظفين، وأصبحن عنصراً هامًّا في الموجة من الفساد انتشرت في طول البلاد وعرضها بعد وفاة الإمبراطور(٢٣).

وأخذ المزيفون يقلدون العملة الجديدة ونجحوا في تقليدها إلى حد اضطر الحكومة إلى سحبها من أيدي الناس، وعادت الخطة القديمة خطة استغلال الضعفاء، يسيطر عليها نظام جديد، ومضى قرن من الزمان نُسيت فيه إصلاحات وو دي أو أضحت مسبَّة له وعاراً.

وجلس على عرش الصين مصلح آخر في بداية التاريخ المسيحي بعد أربعة وثمانين عاماً من موت وو دي، وكان في بادئ الأمر وصيًّا على العرش، ثم أصبح فيما بعد إمبراطوراً. وكان هذا الإمبراطور وانج مانج من أرقى طراز وصل إليه الرجل الصيني الكامل المهذب؛ وكان على غناه يعيش عيشة معتدلة بل عيشة مقتصدة، ويوزع دخله على أقاربه وعلى الفقراء من أهل البلاد.

وقد قضى جل وقته يكافح لإعادة النظام إلى أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية، ولكنه مع ذلك وجد فسحة من الوقت لا لمناصرة الأدب والعلم

فحسب، بل للاشتغال بهما بنفسه حتى أصبح من أكمل الناس ثقافة وتهذيباً؛ ولما جلس على سرير المُلك لم يُحط نفسه بما يحيط به الملوك أنفسهم من الساسة، بل جمع حوله رجالاً من الأدباء والفلاسفة، وإلى هؤلاء الرجال يعزو أعداؤه أسباب إخفاقه، وإليهم يعزو أصدقاؤه أسباب نجاحه.

وروَّع وانج مانج في بداية حكمه انتشار الرق في ضِياع الصين الكبيرة، فلم يكن منه إلا أن ألغى الرق وألغى الضياع بتأميم الأرض الزراعية، فقسمها قطعاً متساوية ووزعها على الزراع، ثم حرم بيع الأرض وشراء ها ليمنع بذلك عودة الأملاك الواسعة إلى ما كانت عليه من قبل. واحتفظ باحتكار الدولة للملح والحديد، وأضاف إلى ذلك امتلاكها للمناجم وإشرافها على تجارة الخمور.

وحاول كما حاول وودي أن يحمي الزراع والمستهلكين من جشع التجار بتحديد أثمان السلع، فكانت الدولة تشتري ما زاد على الحاجة من الحاصلات الزراعية وتبيعها إذا عزَّت وغلا ثمنها، وكانت الحكومة تقدم القروض بفائدة منخفضة لكل مشروع إنتاجي.

لكن وانج لم يفكر في خططه إلا من الناحية الاقتصادية ونسي طبائع الآدميين، فكان يعمل الساعات الطوال بالليل والنهار ليبتكر الخطط التي تزيد ثروة الأمة وأسباب سعادتها، ولكن أحزنه وأضرم قلبه أن وجد الاضطراب الاجتماعي ينتشر في البلاد في أثناء حكمه. فقد ظلت الكوارث الطبيعية كالفيضان والجدب تعطل مشروعاته الاقتصادية، واجتمعت كل الطوائف التي قضت هذه المشروعات على مطامعها وأخذت تكيد له وتعمل

لإسقاطه، فثار نقع الفتن في البلاد يصلت سيفها الشعب في الظاهر، ولكن أكبر الظن أن القائمين بها كانوا يتلقون الأموال من مصادر عليا.

وبينما كان وانج يكافح ليقلم أظفار هذه الفتن، وقد ساءه كفر الشعب بفضله وجحوده بنعمته، إذ أخذت الشعوب الخاضعة لسلطان الصين تشق عصا الطاعة، كما أخذ برابرة الشيونج – نو يجتاحون الولايات الشمالية، فأضعف ذلك كله من هيبة الإمبراطور.

وتزعمت أسرة ليو الغنية ثورة عامة اندلع لهيبها في البلاد واستولت على شانج – آن، وقتلت وانج مانج، وألغت جميع إصلاحاته، وعاد كل شيء إلى ما كان عليه من قبل. وجلس على العرش في أواخر أيام أسرة هان جماعة من الأباطرة الضعاف خاف بعضهم بعضاً، وانتهى بهم عهد هذه الأسرة؛ وأعقب ذلك عهد من الفوضى حكمت في أثنائه أسر خاملة الذكر، انقسمت البلاد في أيامها إلى دويلات متعددة. وتدفق التتار على البلاد ولم يصدهم عنها السور على مساحات واسعة من أجزائها الشمالية.

وكانت غارات هؤلاء التتار سبباً في اضطراب حياة الصين والقضاء على حضارتها النامية، كما كانت غارات الهون الذين يمتون إلى التتار بأواصر القرابة العنصرية سبباً في اضطراب نظام الإمبراطور الرومانية وإلقاء أوربا في غمار الفوضى التي أرجعها نحو مائة عام كاملة.

وفي وسعنا أن ندرك ما يمتاز به الصينيون من صلابة عنصرية، ومن قوة في الأخلاق والثقافة، إذا عرفنا أن هذا الاضطراب كان أقصر

أجلاً وأقلّ عمقاً من الاضطراب الذي قضى على الدولة الرومانية. فلما أن انقضى عهد من الحروب والفوضى والامتزاج العنصري بين المغيرين والأهلين، أفاقت الحضارة الصينية من سُباتها، وانتعشت انتعاشاً رائعاً يبهر الأنظار.

ولعل دم التتار الجديد قد بعث القوة في أمة كانت قد أدركتها الشيخوخة. وقبل الصينيون الغزاة الفاتحين بينهم، وتزوجوا منهم، وحضَّروهم، وارتقوا هم وإياهم إلى أسمى ما بلغوه من المجد في تاريخهم الطويل.

هان الغربية :

وقد أنشأ ليو بانج أسرة هان عام ٢٠٢ق.م، وذلك بعد سقوط أسرة شن. انظر: ليو بانج. وقد انقسم حكم آل هان إلى فترتين حيث استمرت أسرة هان الأولى من عام ٢٠٢ق.م إلى عام ٨م، وكانت عاصمتهم شانجان (أكسيان حاليًا)، أما أسرة هان الثانية، فقد عاشت من عام ٢٥م إلى ٢٢٠م، وكانت عاصمتها لويانج. ونظرًا لوقوع شانجان إلى الغرب من لويانج، فقد كانت الفترتان تسميان فترة حكم أسرة هان الشرقية والغربية. وحكم الصين من عام ٨م إلى ٢٣م رجل ثائر يدعى وانج هانج، وهو الذي أسّس أسرة هسين. وبعد سقوط أسرة هسين، استعادت أسرة هان السلطة. وأصبح لأباطرة هان بعد سقوط أسرة ليو سلطة مركزية قوية، وتقلد العلماء الكنفوشيون مناصب حكومية مهمة، وقد جعل الإمبراطور وودي الكنفوشية فلسفة الدولة الرسمية إبان حكم الفترة من ١٤٠ إلى ٨٧ ق.م.

تم بناء جامعة مركزية في شمانفان إبان حكم أسرة هان. وقد قام كُتاب الشعر والنثر في عهد أسرة هان باتباع أسلوب واضح لايزال مشهورًا حتى الآن، وكتب العلماء تاريخًا مطوَّلاً للصين، وقام الفنَّانون بإنتاج خزف زجاجي ومنحوتات حجرية كبيرة الحجم.

وقد امتدت الصين في عهد أسرة هان إلى الجنوب الغربي حتى وصلت إلى ما يسمَّى بالتيبت حاليًا. واحتل مقاتلو هان ما يسمَّى حاليًا كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية، وسيطروا على القبائل البدوية في الشمال والغرب. ربطت طرق التجارة البرية ما بين أوروبا والصين، وذلك لأول مرة. ومن أشهر تلك الطرق طريق الحرير العظيم، وقد أُدخل الحرير الصيني ومنتجات أخرى إلى الإمبراطورية الرومانية عبر هذا الطريق.

انهارت أسرة هان بسبب الصراع بين العلماء أو ذوي المناصب الرسمية، وأعضاء الأسرة الإمبراطورية، والمستشارين وجنرالات الجيش. وخلال القرون الأربعة التي تلت هذه الخلافات انقسمت الصين إلى دويلات متناحرة.

أسرة سوى

إحدى الأسر التي حكمت الصين خلال الفترة من ٥٨٩ إلى ٦١٨م، وكان يانج تشين أول حُكام تلك الأسرة، وهو الذي وحد شمال وجنوب الصين معًا كإمبراطورية بعد ما يقرب من ٤٠٠ سنة من الحرب الأهلية. أُغْتيل يانج تشين عام ٦٠٤م على يد ابنه سوي يانجدي الذي حكم الصين من بعده.

وقد حاول سوي يانجدي تطوير وتوسيع الإمبراطورية الصينية فقام ببناء القناة العظيمة، وهي ممر مائي لشحن الحبوب وغيرها من المنتجات الأخرى، وأصبحت حدود الصين في عهده تمتد من هانج تشو إلى زهنجيانج أي لمسافة ٣٢٠ كم، ولكنه فشل في محاولات فتح كوريا ومنشوريا. أصبح الشعب الصيني ساخطًا على إمبراطوره سوي يانجدي بعد هزيمة جيشه على أيدي الكوريين عام ٦١٢م فثار ضده، وفي عام ٦١٥م لاقى جيشه أيضًا هزيمة أخرى على أيدي الأتراك الشرقيين، وتراجع سوي يانجدي نحو الجنوب. وفي عام ٦١٨ تم اغتيال سوي يانجدي. وبموته انتهى حكم أسرة سوي، لتظهر في نفس العام أسرة تانغ لتحكم الصين.

أسرة تانج

كانت أسرة إمبراطورية حكمت الصين سبقتها أسرة سوي وتبعتها فترة الأسر الخمس والممالك العشر. أسستها عائلة لي ,(李) Li التي استولت على السلطة أثناء انحدار ثم سقوط إمبراطورية سوي. الأسرة تخللتها لفترة قصيرة أسرة جو الثانية (١٦ أكتوبر ٦٩٠_ ٣ مارس ٧٠٥) عندما استولت الامبراطورة وو جاو على العرش، لتصبح أول وآخر امبراطورة حاكمة صينية تحكم الصين بنفسها (وليس بجانب أو باسم ذكر من عائلتها).

خلفت أسرة «تانغ» في الحكم أسرة «سوي»، وكان أول حاكم منها هو «لي يوان» الذي كان يشغل منصباً مهمًا في عهد أسرة «سوي». ومع أنه حاول إجراء إصلاحات إدارية، وأنشأ مصانع لسك العملة، وأعاد تنظيم القوانين في الدولة، فإن عهده اتصف باضطرابات وحروب أهلية وتنازع على السلطة بين النبلاء.

وفي خضم هذه الأحداث برز الحاكم الثاني من هذه الأسرة، وهو «لي شيه مين» المعروف باسم «تاي تسونغ»، فأجبر أباه «لي يوان» على النزول عن الحكم، وما لبث أن صار أقوى حاكم في تاريخ الصين القديمة. أحل «تاي تسونغ» السلام بين النبلاء المتناحرين، وقضى على منافسيه على العرش، ووحد أنحاء الإمبراطورية، وتوسع نحو التبت وتركستان، وشق طرقات ربطت الصين بالهند وآسيا الوسطى، مما شجع التبادل التجاري والثقافي، وزاد ثراء الإمبراطورية زيادة ملحوظة.

لم يكن ابنه «غاو تسونغ» الذي خلفه عام ٦٤٩م بالقوة نفسها، إذ سيطرت على الحكم زوجته «وو هاو» التي ظلت بعد وفاته وتنصيب ابنه إمبراطوراً عام ٦٨٣م، الحاكم الفعلي، فحافظت على علاقات الأسرة الخارجية، وأعادت سيطرة الصين على التبت وتركستان، ورعت الآداب والفنون التي ازدهرت في عهدها ازدهاراً كبيراً.

خلفها حفيدها «زوان تسونغ» عام ٧١٢م، وفي عهده وصلت الصين ذروة توسعها غرباً، إذ وصلت حتى باكترية وكشمير، لكن تمرد عليه «آن لوشان» أحد القادة العسكريين، واستولى على العاصمة «تشانغآن»، وفرَّ الإمبراطور إلى «سيتشوان» ولم يُقمع هذا التمرد إلا في عهد «سوتسونغ» على استمرار حركات التمرد في أطراف الإمبراطورية.

واستمر الضعف يدب في أوصال الدولة إلى أن جاء النصف الثاني من القرن التاسع، حين انهارت أسرة «تانغ»، وحلَّتْ محلها إمارات مستقلة، وظلت الحال كذلك حتى ظهور أسرة «سونغ» وتأسيسها حكماً مركزيًّا جديداً.

ولئن كان عصر أسرة تانغ مليئاً بالحروب والنزعات الانفصالية، فإنَّه كان عهداً مزدهراً في مجالات الثقافة والآداب والفنون، ففي عهدها ظهر أشهر شعراء الصين القديمة، مثل «لي بو» و«بوتشو إي»، وتذكر سجلات ذلك العهد أسماء أكثر من عشرين ألف شاعر عاشوا وقتذاك، وجرى استنباط نماذج شعرية جديدة إلى جانب بحور الشعر المعروفة سابقاً.

كذلك شهدت الصين انفتاحاً ثقافيًّا واضحاً، إذ دخلها المبشرون البوذيون والمسيحيون، وكانت موانئ الصين تعج بالبحارة الأجانب، ومما يلفت النظر قوة الوجود العربي الإسلامي، إذ كوَّن العرب والمسلمون قوة اقتصادية كبيرة، وألَّفوا جالية مستقلة، تطبق عليهم أحكام الشريعة الإسلامية بدل القوانين الصينية، وكان مركزهم الرئيس مدينة «قوانغتشو» على الساحل الجنوبي للصين، ومازال مسجد (هوايشنغ) الذي بُني وقتذاك قائماً حتى اليوم.

كان للرسم أثر أساسي في الحياة الثقافية، وكان رسامو البلاط من الشخصيات المرموقة في المجتمع. وقد وصلت من تلك الحقبة رسومات كثيرة تمثل صوراً للأباطرة والنبلاء ومشاهد من الحياة اليومية، وصوراً للجياد الأصيلة التي اهتم الأباطرة بتربيتها بعد أن أدركوا فائدتها في الحروب. كذلك شاع في تلك الحقبة نحت تماثيل ضخمة لبوذا عقب دخول البوذية إلى الصين، وتماثيل بالحجم الطبيعي لتوضع في قبور الأباطرة وعلية القوم. وتطور فن الخزف ليصير فنًّا ناضجاً بألوانه ورسومه واكتسب شهرة كبيرة.

كما شهدت الاحتفالات والمظاهر الإمبراطورية إحياءً وتطويراً للفرق الموسيقية القديمة، وفرق الرقص والغناء الخاصة بالبلاط والآلات الموسيقية، ودخلت الموسيقى الأجنبية (الغربية) إلى جانب الموسيقى المحلية .

أسرة سونج

جاءت بعد فترة الأسر الخمس والممالك العشر، وتبعتها أسرة يوان، وكانت أول حكومة في تاريخ العالم تصدر بنكنوت أو مالاً ورقيًّا، b[›] وأول قوة سياسية بالصين تنشئ أسطولاً حربيًّا دائمًا.

ويقسم عهد أسرة سونگ قسمين: أسرة سونگ الشمالية (٩٦٠-١١٢٦م) وأسرة سونگ الجنوبية (١١٢٧-١٢٧٩م).

نشأت الأسرة على يد تشاو كوانگين Chao kuang-yin الذي عُرف لاحقاً باسم الامبراطور سونگ تاي-تسو Sung tai-tsu ، بعد قضائه على أسرة تشو Chou التي كانت تحكم سهل الصين الشمالي. وبعد أن توطد الأمر لأسرة سونگ، بدأ الامبراطور تاي . تسو، ومن بعده الامبراطور تاي-تسونگ Tai-tsung الذي خلفه عام ٩٧٦، محاولة السيطرة على بقية أراضي الشمال وعلى عدد من ممالك الجنوب.

وتوحدت الإمبراطورية في عام ٩٧٨، وقد أسسا عاصمة الأسرة في كاي-فنگ Kai- Feng شمالي الصين، بيد أن الدويلات الأجنبية القوية على الحدود الشمالية وقفت عائقاً أمام محاولات توسع الإمبراطورية في ذلك الاتجاه.

كانت أسرة سونگ واحدة من عدة دويلات تنافست على بسط النفوذ في شرقي آسيا، وقد ارتبط بقاء الأسرة بقدرة الحكومة على تأسيس علاقات راسخة مع الجوار. وبعد توحيد الشمال والجنوب تحوّل الامبراطور تاي . تسونگ إلى الحدود الشمالية الشرقية (بكين اليوم) وحاول استعادة

ست عشرة ولاية يسكنها صينيون أصليون من شعوب الخيتان **Khitanas**، وهم اتحاد كونفدرالي قبلي، كان قد أسس أسرة لياو **Liao** منذ عام ٩٠٧.

بيد أن أسرة سونگ مُنيت بالهزيمة ووقعت اتفاقية سلام مع أسرة لياو وافقت بموجبها على دفع مئة ألف أونصة فضة و٢٠٠٠٠٠ ثوب حرير سنويًّا للمنتصر. ومع أن تلك الاتفاقية كانت مذلة، إلا أنها وفرت، إلى جانب جيش أسرة سونگ الدفاعي الكبير، سلاماً نسبيًّا مدة قرن تقريباً.

وعلى الحدود الشمالية الغربية كان هناك اتحاد قبلي آسيوي آخر من شعوب تانگوت **Tangut** الذين أسسوا أسرة تسي تسيا**Xixia** ، وكانت دولة التانگوت تتلقى جزية سنوية من أسرة سونگ أيضاً بعد اتفاق السلام الذي أُبرم عام ١٠٤٤. أما قبائل التبت فكانت تشغل إقليم تورفان **Turfan** (إقليم شنغهاي اليوم) على الحدود الغربية، في حين كانت مملكة تا–لي **Ta-Li** المستقلة تقع على الحدود الجنوبية الغربية في الإقليم الذي يُعرف اليوم باسم يونّان.**Yunnan** .

استمرت تلك الأوضاع حتى عشرينيات القرن الثاني عشر حين تحالفت أسرة سونگ مع أسرة تشين **Chin** عام ١١١٩، في محاولة لاستعادة الولايات الست عشرة من أسرة لياو. استطاعت دولة شين هزيمة أسرة لياو عام ١١٢٥، لكنها قلبت ظهر المجن وفرضت حصاراً على عاصمة سونگ الشمالية، كاي–فنگ.

وفي عام ١١٢٦ أسرت أسرة لياو أفراد البلاط الملكي لأسرة سونگ وأرسلتهم إلى الشمال، بيد أن أحد الأمراء تجنب الوقوع في الأسر واستعاد تجميع الأسرة في الجنوب في هانگ–تشو Hang-Chou وحكم باسم الإمبراطور كاو تسونگ.Kao Tsung .

اختار كاو تسونگ عاصمة لنفسه أطلق عليها (لين . آن) - Lin an هانغ . شو اليوم، وأبرم اتفاقية سلام مع أسرة شين في الشمال عام ١١٤١، على الرغم من معارضة قادته العسكريين والسياسيين الذين طالبوا ببذل ما أمكن لاستعادة الشمال.

كان كاو تسونگ معجباً بطريقة أسرة هان Han في الإدارة المدنية ومقلداً لها، وقد نجحت بيروقراطية أسرة سونگ في عملها مدة طويلة قبل أن يبدأ انهيار السلالة. ولم يكن انهيار أسرة سونگ مفاجئاً، وانتهت كغيرها من السلالات التي سبقت، فقد بدأ المغول بقيادة جنكيزخان تحركهم إلى الصين بهجوم على إحدى دويلات الصين في الشمال عام ١٢١١. وبعد نجاح المغول في الشمال، وبعد عقود من تعايشهم الصعب مع أسرة سونگ، زحفوا بقيادة حفيد جنكيزخان نحو قوات سونگ عام ١٢٥٠، وصمدت قوات سونگ في وجه المغول إلى أن سقطت عاصمتهم عام ١٢٧٦.

توفي آخر أباطرة أسرة سونگ بعد ثلاث سنوات (١٢٧٩) في أثناء هروبه.

كانت حقبة أسرة سونگ نقطة بداية لعلاقة جديدة بين الحكومة والمجتمع، وتمثل أواخر العهد الامبراطوري في الصين، وقد حكمت أسرة سونگ نحو ١٠٠ مليون نسمة بالاعتماد على بيروقراطية مركزية قوية يقودها موظفون علماء.

سونگ الشمالية ٩٥٩-١١٢٦ :

"الإمبراطور تايزو من سونگ حكم ٩٦٠-٩٧٦ وحّد الصين بغزو الأراضي الأخرى في عهده، منهياً انقلاب فترة الأسر الخمس والممالك العشر .في كاي‌فنگ، أسس حكومة مركزية قوية لتدير شؤون الإمبراطورية.

أمّن الاستقرار الإداري بتعزيز نظام اختبار الخدمة المدنية لرفع كفاءة بيروقراطيي الدولة بالمهارات والجدارة (بدلاً من المناصب الأرستقراطية أو العسكرية) وشجع المشروعات التي تضمن كفاءة الاتصالات عبر الإمبراطورية.

في إحدى هذه المشروعات، رسم رسامو الخرائط خريطة مفصلة لكل مقاطعة ومدينة ثم تم جمعها في أطلس ضخم، وشجع الامبراطور تايزو أيضاً العلوم الرائدة والابتكارات التقنية بدعمه مثل هذه النوعية من الأعمال مثل برج الساعة الفلكية الذي صممه وبناه المهندس ژانگ سيشون .

أقام بلاط سونگ علاقات دبلوماسية مع الهند چولا، الخلافة الفاطمية،سري‌ڤيجايا، خانية قرة خانات في آسيا الوسطى، وبلدان أخرى كانت أيضاً شريكاً تجاريًّا مع اليابان ومع ذلك.



الإمبراطور تايزو من سونگ حكم (٩٦٠-٩٧٦)

فكان لدول الجوار القريبة من الصين أعظم الأثر على سياستها الداخلية والخارجية. منذ إنشائها في عهد تايزو، أسرة سونگ alternatedبين الحرب والدبلوماسية مع عرقية الخيتان من أسرة لياو في شمال شرق البلاد، ومع شعوب تانگوت من شيا الغربية تحت سيطرة الخيتان التي تعتبر تاريخيًّا جزءًا من الصين الداخلية.

ومع ذلك، فقد صُدت قوات سونگ على يد قوات لياو التي شاركت في الحملات العدوانية السنوية على أراضي سونگ الشمالية حتى عام ١٠٠٥، عندما تم التوقيع على معاهدة شان يوان التي أنهت الاشتباكات على الحدود الشمالية. أُجبرت أسرة سونگ على دفع جزية للخيتان، بالرغم من أن دفع هذه الجزية لم يلحق ضرراً كبيراً باقتصاد سونگ الكلي حيث إن الكتيان كانوا يعتمدون بشكل كبير على استيراد كميات ضخمة من البضائع من أسرة سونگ .

والأهم من ذلك، اعترفت دولة سونگ بدولة لياو as its diplomatic equal. سعت أسرة سونگ إلى تحقيق العديد من الانتصارات العسكرية على التانگوت في أوائل القرن ١١، وبلغت ذروتها في الحملة التي قادها العالم، الجنرال ورجل الدولة شنو كوو 1031–1095 .

ومع ذلك، ففي نهاية الأمر باءت هذه الحملة بالفشل بسبب عصيان من قِبَل الضابط العسكري المنافس لشن للأوامر المباشرة، وفي النهاية فُقدت الأراضي التي تم الاستيلاء عليها من شيا الغربية .

دارت كذلك حرب كبرى ضد أسرة لي من ڤيتنام من عام ١٠٧٥ حتى ١٠٧٧ بسبب نزاع حدودي وقطعت أسرة سونگ علاقاتها التجارية مع مملكة داي ڤييت . بعدما مُنيت أسرة لي بأضرار جسيمة في غارة على گوانگشي.

وتوغل قائد سونگ، گوو كوي (١٠٢٢–١٠٨٨) في ثانگ لونگ هاوني المعاصرة، إلا أن الخسائر الجسيمة على الجانبين دفعت قائد لي

ثونگ كايت (١٠١٩-١١٠٥) إلى تقديم مبادرات سلام، مما سمح للجانبين بالانسحاب من المجهود الحربي؛ وفي عام ١٠٨٢ تم تبادل الأراضي التي استولت عليها سونگ ولي، وكذلك أسرى الحرب.

الخدمة المدنية والطبقة العليا :

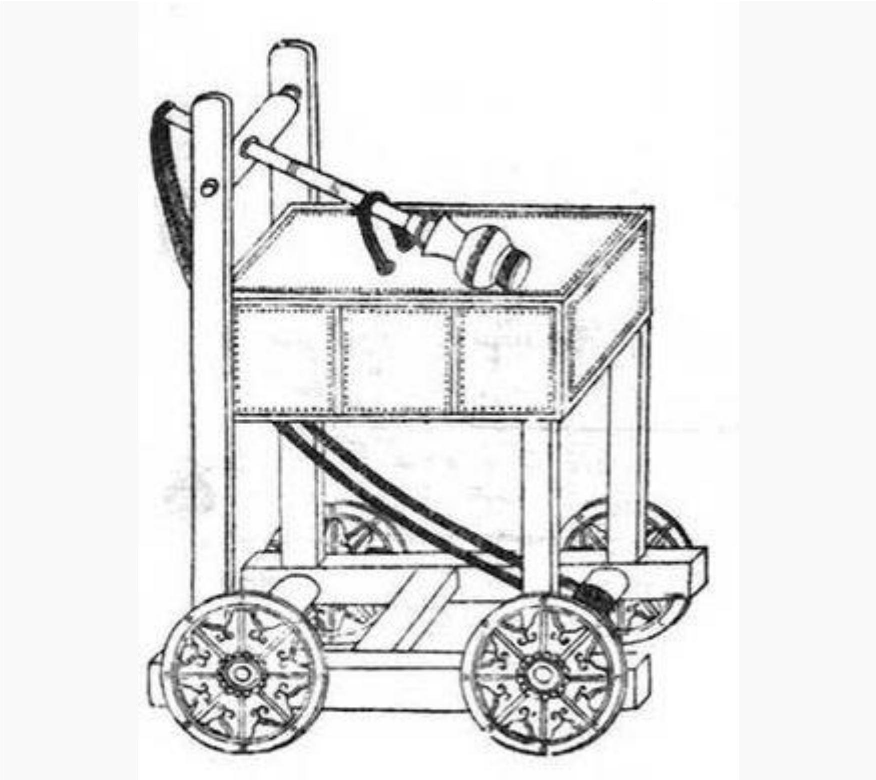
كما كان لازدهار الأكاديميات الخاصة والمدارس الحكومية فضل في تخريج أعداد متزايدة من المتنافسين في امتحانات الخدمة المدنية (كانت تجري امتحانات الخدمة المدنية لانتقاء الأفضل في تولي وظائف الدولة). وطورت إدارة الدولة سياسة الخدمة الاجتماعية الشاملة التي جعلت تلك المرحلة واحدة من أفضل المراحل الإنسانية في تاريخ الصين.

الاقتصاد والصناعة والتجارة :

شهدت الحضارة الصينية في عهد أسرة سونگ تطوراً مذهلاً، فقد كان للثورة الزراعية والصناعية المعتمدة على التطورات التقنية أثر مهم في النمو الاقتصادي، وتطورت التجارة تطوراً واسعاً، فشهدت البلاد تنظيماً جيداً لنقابات التجار والصناع، واتسع استخدام العملة الورقية.

وازدهرت عدة مدن على طول الأنهار الرئيسة والساحل الجنوبي الشرقي، كما أن تقنيات بناء السفن الجديدة واستخدام البوصلة ساعدت على تنشيط التجارة الخارجية.

التكنولوجيا والعلم والهندسة :



أسرة يوان

كانت أسرة حاكمة أسسها الزعيم المنغولي قبلاي خان، الذي حكم الصين الحالية، وكل منغوليا الحالية والمناطق المحيطة بها 1271 حتى ١٣٦٨. كانت تعتبر كقسم من إمبراطورية المنغول وكأسرة صينية. في التاريخ الصيني، تلت أسرة يوان أسرة سونگ وخلفتها أسرة مينگ

بالرغم من أن الأسرة قد تأسست على يد قبلاي خان، فإن جده الأكبر جنكيز خان قد وُضع في السجلات الرسمية على أنه مؤسس الأسرة (أو تايزو) بالصينية .(太祖)بجانب امبراطور الصين، فقد زعم قبلاي خان أيضاً أنه حامل لقب الخان الأعظم، صاحب السيادة على خانات المنغول الأخرى (خانية چاگاتاي، القبيل الذهبي، إلخانات).

ومع ذلك فقد اعترف بهذا الزعم فقط من قبل الإلخانيين، الذين كانوا بالرغم من ذلك يتمتعون بالحكم الذاتي. بالرغم من أن الأباطرة التاليين في أسرة يوان كان معترفًا بهم من قِبَل ثلاث إلخانات غربية مستقلة فعليًّا على أنهم أصحاب السيادة العليا اسميًّا، فقد استمرت كل واحدة من تلك الإلخانات في تقدمها بشكل منفصل.

أحياناً يُشار إلى يوان على أنها إمبراطورية الخان الأعظم، حيث يحمل أباطرة المنغول من أسرة يوان لقب الخان الأعظم لجميع خانات المنغول.

الأحداث الخاصة بأسرة يوان :

كان هناك تنوع ثقافي غني في عهد أسرة يوان. تمثلت الإنجازات الثقافية الهامة في تطور الدراما والرواية والاستخدام المتزايد للكتابة بالعامية الوحدة السياسية للصين والتجارة الرائجة بين الشرق الغرب في معظم آسيا الوسطى. الاتصالات الموسعة للمنغول بين غرب آسيا وأوروبا أنتج قدرًا كبيرًا من التبادل الثقافي.

الثقافات والشعوب الأخرى في إمبراطورية المنغول كانت متأثرة بشكل كبير أيضاً بالصين. سهلت بشكل كبير التجارة عبر آسيا حتى فترة تراجعها؛ الاتصالات بين أسرة يوان وحليفها وتابعها فيفارس، شجعت إلخانات على التطور.

كان للبوذية تأثير كبير على حكومة يوان، البوذية التانترية التبتية كان لها تأثير كبير على الصين في تلك الفترة. مسلمو أسرة يوان أدخلوا علم الخرائط، علم الفلك، الطب، الملابس والنظام الغذائي الشرق أوسطي إلى شرق آسيا. الحاصلات الشرق أوسطية مثل الجزر، واللفت، وأنواع جديدة من الليمون والباذنجان، والبطيخ والسكر عالي الجودة، والقطن جميعها أُدخلت وانتشرت بنجاح في عهد أسرة يوان.

الألات الموسيقية الغربية أُدخلت لإثراء الفنون الصينية التطبيقية الصينية. يعود لتلك الفترة الدخول إلى الإسلام، والذي حدث بواسطة مسلمي آسيا الوسطى، إلى أعداد متزايدة من الصينيين في شمال غرب وجنوب غرب البلاد .النسطورية الجديدة والرومانية الكاثوليكية أيضاً تمتعت بفترة من التسامح.

البوذية (خاصة البوذية التبتية) انتعشت في تلك الفترة، بالرغم من أن الطاوية عانت من الاضطهاد لصالح البوذية من قبل حكومة يوان.

الممارسات والخبرات الحكومية الكوفنشيوسية كانت معتمدة على الكلاسيكيات، والتي كان معمولاً بها في شمال الصين أثناء فترة الانقسام، والتي أعادها بلاط اليوان، ربماً أملاً في المحافظة على مجتمع الهان. حدث تقدم في مجالات أدب الرحلات، رسم الخرائط، الجغرافيا والتعليم العلمي.

بعض الابتكارات والمنتجات الصينية، مثل الملح الصخري، تقنيات الطباعة، الخزف الصيني، أوراق اللعب والأدب الطبي، تم تصديرها لأوروبا وغرب آسيا، بينما أصبح إنتاج الزجاج الرقيق والكلوازون منتشراً في الصين. إمبراطور مينگ ژو يوانژانگ (١٣٦٨–٩٧) كان معجباً بتوحيد المنغول للصين وتبنِّى نظام حاميتها .

أول رحلات مسجلة قام بها أوروپيون للصين ترجع إلى ذلك الوقت. أشهر رحالة في تلك الفترة كان ماركو پولو البندقي، الذي قام برحلة إلى "كامبالوك"، عاصمة الخان الأعظم، وأثارت حياته هناك دهشة الشعب الأوروپي. تقرير رحلاته (**Il milione**) أو،المليون، اشتهر بالإنگليزية باسم رحلات ماركو پولو، ظهرت حوالي عام ١٢٩٩.

يجادل البعض حول دقة تقارير ماركو پولو بسبب افتقادها الإشارة إلى سور الصين العظيم، بيوت الشاي، والتي كان مَعْلماً بارزاً منذ تبنِّي

الاوروپيين ثقافة الشاي، وكذلك **practice of foot binding** من قِبَل النساء في عاصمة الخان الأعظم.

يقترح البعض أن ماركو پولو حصل على معظم معلوماته عن طريق الاتصال بالتجار الفرس حيث إن الكثير من الأماكن كانت تحمل الأسماء الفارسية.

قامت أسرة يوان بالأعمال العامة الموسعة. الاتصالات البرية والمائية أُعيد تنظيمها وتطورت ولمكافحة أي مجاعة محتملة، تم بناء الصوامع على امتداد الإمبراطورية. مدينة بكين أُعيد بناؤها وشُيِّد قصر جديد يضم بحيرات صناعية، تلال وجبال، ومنتزهات. في عهد أسرة يوان، أصبحت بكين المحطة الأخيرة لقناة الصين العظيمة، والتي تم تجديدها بالكامل.

هذه التحسينات التجارية شجعت التجارة البرية والبحرية في آسيا ويسَّرت الاتصالات الصينية المباشرة مع أوروپا. الرحَّالة الصينيون إلى الغرب كان يمكنهم تقديم المساعدة في مثل تلك المناطق مثل الهندسة الهديروليكية.

الاتصالات مع الغرب أدت إلى إدخال المحصول الغذائي الرئيسي إلى الصين، الذرة الرفيعة، إلى جانب المنتجات الغذائية الأجنبية وطرق الطهي.

أسرة يوان (١٢٧١-١٣٦٨) كانت أول أسرة من أصول غير صينية تحكم عموم الصين. في تاريخ منغوليا، وكانت تعتبر بصفة عامة استمرارًا لإمبراطورية المنغول واشتهر المنغول بعبادة السماء الخالدة.

وحسب الأيديولوجيا المنغولية التقليدية تعتبر يوان "بداية عدد لا حصر له من المخلوقات، أساس السلام والسعادة، سلطة الدولة، حلم الكثير من الناس، بالإضافة إلى أنه ليس هناك شيء كبير أو الثمينة" كان قد غزا الصين بأكمله .

من جهة أخرى، في التأريخ الصيني التقليدي عادة ما تعتبر أسرة يوان الأسرة الشرعية بين أسرة سونگ وأسرة مينگ. مع ملاحظة، أن أسرة يوان تقليديًّا كانت ممتدة لتشمل إمبراطورية المنغول قبل تأسيس قبلاي خان الرسمي ليوان عام ١٢٧١، إلى حد ما لأن قبلاي كان جده الأكبر جنكيز خان قد وضع في السجل الرسمي على أنه مؤسس الأسرة (أو تايزو) صينية (太祖 :).

بالرغم من أن التأريخ التقليدي وكذلك الآراء الرسمية (تشمل حكومة أسرة مينگ) التي أطاحت بأسرة يوان، هناك شعوب صينية لا تعتبر أسرة يوان أسرة شرعية في الصين، لكن تعتبر حكمها فترة هيمنة أجنبية.

يعتقد هؤلاء أن صينيي هان كانوا يُعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية، وأن الصين شهدت فترة ركود اقتصادي وعلمي؛ وكذلك، التكنولوجيات الصينية مثل البارود والبوصلة انتشرت إلى أوروبا في عهد أسرة يوان. لكن هناك أيضاً آراء أخرى.

المجتمع

الطبقات الاجتماعية :

نظام الحكومة الذي أسسه قبلاي خان كان نظامًا وسطًا بين الإقطاع التراثي المنغولي والنظام الأوتوقراطي البيروقراطي الصيني التقليدي. ومع ذلك، فمن الناحية الاجتماعية فالنخبة الصينية المتعلمة بصفة عامة لم تحظ بنفس التقدير الذي كانت تحظى به في عهد الأسرات الصينية الأصلية. بالرغم من أن النخب الصينية التقليدية لم تكن تحظى بنصيب من السلطة.

فالمنغول والسوموبون (جماعات متحالفة مختلفة من آسيا الوسطى والطرف الغربي للإمبراطورية) كانوا لا يزالون غرباء إلى حد كبير على التيار الثقافي الصيني، وأعطى هذا الانقسام نظام يوان صبغة "استعمارية" ربما بسبب الخوف من انتقال السلطة إلى العرقية الصينية في عهدهم، عامل المنغول الصينيين بعدم مساواة. منحوا المزايا للمنغول والسوميين حتى بعد عودة الاختبار الامبراطوري في القرن ١٤.

بصفة عامة لم يصل الصينيون الشماليون أو الجنوبيون إلى المناصب العليا في الحكومة مقارنة بالفرس في إلخانات [18].فيما بعد، استجابة للاعتراضات على استخدام "البربر" في حكومته، رد امبراطور مينگ يونگل قائلاً: "...كان التمييز يُستخدم من قِبَل المنغول في عهد أسرة يوان، الذين كانوا يوظفون فقط "المنغول والتتار" ويستبعدون الصينيين الشماليين والجنوبيين، وكان هذا هو ما تسبب في وقوع الكارثة

لهم [19] ."المؤرخ المنغولي، چولووني دالاي، اعترف بأن الحملات العسكرية المنغولية اللانهائية (خاصة في الفترة الأولى من حكمهم) تسببت في أعباء مالية واجتماعية–اقتصادية على الصينين، الكوريين والجماعات العرقية الأخرى تحت حكمهم.

وظفت الإمبراطورية المنغولية الكثير من الأجانب على مدار تاريخها. قبلاي أدخل التسلسل الهرمي عن طريق تقسيم السكان في أسرة يوان إلى الطبقات التالية:

المنغول

السوميون، ويشملون الأويغور، المهاجرين من الغرب وبعض العشائر من آسيا الوسطى.

الصينيون الشمالية، الكيتان، الجورچن، والكوريون.

الجنوبيون، أو جميع المنتمين لأسرة سونگ السابقة.

التجار الشركاء أو المشرفون من غير المنغول عادة ما كانوا إما مهاجرين أو جماعات عرقية محلية. بالتالي، فقد كان في الصين المسلمون الأويغور، التركمان، والفرس، والمسيحيين الأجانب من خارج الإمبراطورية المنغولية، مثل عائلة پولو، كانوا محل ترحيب في كل مكان.

وبالرغم من المكانة المرموقة المعطاة للمسلمين، إلا أن بعض سياسات أباطرة يوان ميَّزت بشدة ضدهم، وحدَّت من الذبح الحلال والممارسات الإسلامية الأخرى مثل الختان، وذلك الذبح الكوشر لليهود، مما أجبرهم على أكل الطعام على الطريقة المنغولية [20]. وهي في

طريقها للنهاية، أصبح الفساد والاضطهاد شديدًا جدًّا حيث انضم الجنرالات المسلمون إلى الهان الصينيين في تمردهم ضد المنغول ژو يوان ژانگ مؤسس مينگ كان لديهم جنرالات مسلمون مثل لان يو الذي تمرد ضد المنغول وهزمهم في القتال.

بعض التجمعات المسلمة كان لها اسم في الصينية يعني "البركات" أو "الشكر"، يزعم الكثير من مسلمي هوي أن السبب في ذلك يرجع إلى أنهم لعبوا دورًا هامًّا في الإطاحة بالمنغول وأطلق عليهم هذا الاسم تقديراً لهم من الهان الصينيين على مساعدتهم إياهم .

في المتاجر:

ازدهرت الصناعة في تلك الأيام ازدهاراً لم يُرَ له مثيل في كافة أنحاء الأرض قبل القرن الثامن عشر، فمهما تتبعنا تاريخ الصين إلى ماضيه السحيق وجدنا الحرف اليدوية منتشرة في البيوت والتجارة رائجة في المدن.

أنشئت في أيام قبلاي خان طرق عامة رُصفت بالحجارة، ولكن لم يبق منها الآن إلا جوانبها. أما شوارع المدن فلم تكن سوى أزقة لا يزيد عرضها على ثماني أقدام صُمِّمت لكي تحجب الشمس، وكانت القناطر كثيرة العدد جميلة في بعض الأحيان.

ومن أمثلتها القنطرة الرخامية التي كانت عند القصر الصيفي، وكان التجار والمسافرون يستخدمون الطرق المائية بقدر ما كانوا يستخدمون الطرق البرية.

وكان في البلاد قنوات مائية يبلغ طولها ٢٥,٠٠٠ ميل، ولم يكن في الأعمال الهندسية الصينية ما يفوق القناة الكبرى التي تربط هانجتشاو بتيانشين والتي يبلغ طولها ٦٥٠ ميلاً، والتي بُدئ في حفرها سنة ٣٠٠م وتم في عهد كوبلاي خان، لم يكن يفوقها إلا السور العظيم.

وكانت القوارب المختلفة الأشكال والأحجام لا ينقطع غدوها ورواحها في الأنهار، ولم تكن تتخذ وسائل للنقل الرخيص فحسب، بل كانت تتخذ كذلك مساكن للملايين من الأهلين الفقراء.

والصينيون تجار بطبعهم وهم يقضون عدة ساعات في المساومات التجارية، وكان الفلاسفة الصينيون والموظفون الصينيون متفقين على احتقار التجار، وقد فرض عليهم أباطرة أسرة هان ضرائب فادحة وحرَّموا عليهم الانتقال بالعربات ولبس الحرير.

وكان أفراد الطبقات الراقية يطيلون أظافرهم ليدلوا بعملهم هذا على أنهم لا يقومون بأعمال جثمانية، كما تطيل النساء الغربيات أظافر أيديهن لهذا الغرض عينه.

وقد جرت العادة أن يعد العلماء والمدرسون والموظفون من الطبقات الراقية، وتليهم في هذا طبقة الزراع، ويأتي الصناع في المرتبة الثالثة، وكانت أوطأ الطبقات طبقة التجار لأن هذه الطبقة الأخيرة- على حد قول الصينيين- لا تجني الأرباح إلا بتبادل منتجات غيرها من الناس.

لكن التجار مع ذلك آثروا ونقلوا غلاّت حقول الصين وسلع متاجرها إلى جميع أطراف آسيا، وصاروا في آخر الأمر الدعامة المالية للحكومة

الصينية. وكانت التجارة الداخلية تعرقلها الضرائب الفادحة، وأما التجارة الخارجية فكانت معرضة لهجمات قُطّاع الطريق في البر والقرصان في البحر.

ومع هذا فقد استطاع التجار الصينيون أن ينقلوا بضائعهم إلى الهند وفارس وبلاد النهرين وروما نفسها في آخر الأمر بالطواف حول شبه جزيرة الملايو بحراً وبالسير في طرق القوافل التي تخترق التركستان.

وكانت أشهر الصادرات هي الحرير والشاي والخوخ والمشمش والبارود وورق اللعب، وكان العالم يرسل إلى الصين بدل هذه الغلات والبضائع الفِضْفِضَة والزجاج والجزر والفول السوداني والدخان والأفيون.

وكان من أسباب تيسير التبادل التجاري نظام الائتمان والنقود. فقد كان التجار يقرض بعضهم بعضاً بفوائد عالية تبلغ في العادة نحو ٣٦%، ونقول إنها عالية وإن لم تكن أعلى مما كانت في بلاد اليونان والرومان.

وكان من أسباب ارتفاع سعر الفائدة ما يتعرض له المرابون من أخطار شديدة، فكانوا من أجل ذلك يتقاضون من الأرباح ما يتناسب مع هذه الأخطار، ولم يكن أحد يحبهم إلا في مواسم الاستدانة. ومن الحكم الصينية المأثورة قولهم: "السارقون بالجملة ينشئون المصارف". وأقدم ما عُرف من النقود ما كان يُتخذ من الأصداف البحرية والمدي والحرير.

ويقول ماركو بولو عن خزائن كوبلاي خان:

"إن دار السك الإمبراطورية تقوم في مدينة كمبلوك(پكين) وأنت إذا شاهدت الطريقة التي تصدر بها النقود قلت إن فن الكيمياء أتقن إتقاناً لا

إتقان بعده، وكنت صادقاً فيما تقول. ذلك أنه يصنع نقوده بالطريقة الآتية"، ثم أخذ يستثير سخرية مواطنيه وتشككهم فيما يقول وعدم تصديقهم إياه فوصف الطريقة التي يؤخذ بها لحاء شجر التوت فتصنع منه قطع من الورق يقبلها الشعب ويعدها في مقام الذهب.

ذلك هو منشأ السيل الجارف من النقود الورقية الذي أخذ من ذلك الحين يدفع عجلة الحياة الاقتصادية في العالم مسرعة تارة، ويهدد هذه الحياة بالخراب تارة أخرى.

المخترعات والعلوم :

لقد كان الصينيون أقدر على الاختراع منهم على الانتفاع بما يخترعون. فقد اخترعوا البارود في أيام أسرة تانج، ولكنهم قصروا استعماله وقتئذ على الألعاب النارية.

وكانوا في ذلك جد عقلاء؛ ولم يستخدموه في صنع القنابل اليدوية وفي الحروب إلا في عهد أسرة (سونج) عام ١١٦١م. وعرف العرب (ملح البارود) نترات البوتاسيوم - وهو أهم مركبات البارود- في أثناء اتجارهم مع الصين وسموه " الثلج الصيني " ونقلوا سر صناعة البارود إلى البلاد الغربية، واستخدمه العرب في أسبانيا في الأغراض الحربية.

ولعل سير روجر بيكون أول من ذكره من الأوربيين قد عرفه من دراسته لعلوم العرب أو من اتصاله بـ (ده- برو كي) الرحالة الذي طاف في أواسط آسيا.

الرياضيات :

وقد خلف عالمها الرياضي المعمر (جانج تسانج) المتوفى في عام ١٥٢ق.م وراءه كتاباً في الجبر والهندسة فيه أول إشارة معروفة للكميات السالبة. وقد حسب دزو تسو تشونج- جي القيمة الصحيحة للنسبة التقريبية إلى ثلاثة أرقام عشرية، وحسن المغنطيس أو "الأداة التي تشير إلى الجنوب"، وقد وردت إشارة عنه غير واضحة قيل فيها إنه كان يجري التجارب على سفينة تتحرك بنفسها .

واخترع تشانج هنج آلة لتسجيل الزلازل(سيزموغرافيا) في عام ١٣٢م ولكن علم الطبيعة الصيني قد ظلت معظم أبحاثه في دياجير الفنج جوي السحرية واليانج والين من أبحاث ما وراء الطبيعة. وأكبر الظن أن علماء الرياضة الصينيين قد أخذوا الجبر عن علماء الهند، ولكنهم هم الذين أنشئوا علم الهندسة في بلادهم مدفوعين إلى هذا بحاجتهم إلى قياس الأرض.

وكان في وسع الفلكيين في أيام كنفوشيوس أن يتنبئوا بالخسوف والكسوف تنبؤاً دقيقاً، وأن يضعوا أساس التقويم الصيني بتقسيم اليوم إلى اثنتى عشرة ساعة وتقسيم السنة إلى اثنى عشر شهراً يبدأ كل منها بظهور الهلال، وكانوا يضيفون شهراً آخر في كل بضع سنين لكي يتفق التقويم القمري مع الفصول الشمسية.

وكانت حياة الصينيين على الأرض تتفق والحياة في السماء؛ وكانت أعياد السنة تحددها منازل الشمس والقمر، بل إن نظام المجتمع من الناحية الأخلاقية كان يقوم على منازل الكواكب السيارة والنجوم.

الطب :

وكان الطب في الصين خليطاً من الحكمة التجريبية والخرافات الشعبية. وكانت بدايته فيما قبل التاريخ المدون، ونبغ فيه أطباء عظماء قبل عهد أبقراط بزمن طويل، وكانت الدولة من أيام أسرة جو تعقد امتحانًا سنويًّا للذين يريدون الاشتغال بالمهن الطبية، وتحدد مرتبات الناجحين منهم في الامتحان حسب ما يُظهرون من جدارة في الاختبارات.

وقد أمر حاكم صيني في القرن الرابع قبل المسيح أن تُشرِّح جثث أربعين من المجرمين المحكوم عليهم بإعدامهم، وأن تدرس أجسامهم دراسة تشريحية، ولكن نتائج هذا التشريح وهذه الدراسة قد ضاعت وسط النقاش النظري، ولم تستمر عمليات التشريح فيما بعد.

وكتب جانج جونج- تنج في القرن الثاني عدة رسائل في التغذية والحميات ظلت هي النصوص المعمول بها مدى ألف عام، وكتب هوا- دو في القرن الثالث كتاباً في الجراحة، وأشاع العمليات الجراحية باختراع نبيذ يخدر المريض تخديراً تامًّا.

ومن سخافات التاريخ أن ضاعت أوصاف هذا المخدر فيما بعد، ولم يعرف عنها شيء. وكتب وانج شو-هو في عام ٣٠٠ بعد الميلاد رسالة ذائعة الصيت عن ضربات القلب.

وفي أوائل القرن السادس كتب داو هونج- جنج وصفاً شاملاً لسبعمائة وثلاثين عقاراً مما كان يستخدم في الأدوية الصينية، وبعد مائة عام من ذلك الوقت كتب جاو يوان- فانج كتاباً قيماً في أمراض النساء

والأطفال ظل من المراجع الهامة زمناً طويلاً. وكثرت دوائر المعارف الطبية في أيام أباطرة أسرة تانج كما كثرت الرسائل الطبية المتخصصة التي تبحث كل منها في موضوع واحد في عهد الملوك من أسرة سونج .

وأنشئت في أيام هذه الأسرة كلية طبية؛ وإن ظل طريق التعليم الطبي هو التمرين والممارسة. وكانت العقاقير الطبية كثيرة متنوعة حتى لقد كان أحد مخازن الأدوية منذ ثلاثمائة عام يبيع منها بنحو ألف ريال في اليوم الواحد.

وكان الأطباء يطنبون ويتحذلقون في تشخيص الأمراض، فقد وصفوا من الحميات مثلاً ألف نوع، وميزوا من أنواع النبض أربعاً وعشرين حالة. واستخدموا اللقاح في معالجة الجدري، وإن كانوا لم يستخدموا التطعيم للوقاية منه، ولعلهم قد أخذوا هذا عن الهند، ووصفوا الزئبق للعلاج من الزهري.

ويلوح أن هذا المرض الأخير قد ظهر في الصين في أواخر أيام أسرة منج وأنه انتشر انتشاراً مروعاً بين الأهلين، وأنه بعد زواله قد خلف وراءه حصانة نسبية تقيهم أشد عواقبه خطورة، غير أن الإجراءات الصحية العامة والأدوية الواقية، والقوانين الصحية لم تتقدم تقدماً يُذكر في بلاد الصين؛ كما كان نظام المجاري والمصارف نظاماً بدائيًّا إذ كان لم يُوضع لهما نظام على الإطلاق.

وقد عجزت بعض المدن عن حل أول الواجبات المفروضة على كل مجتمع منظم– ضمان ماء الشرب النقي والتخلص من الفضلات.

وكان الصابون من مواد الترف التي لا يحصل عليها إلا الأثرياء الممتازون، وإن كان القمل وغيره من الحشرات كثير الانتشار. وقد اعتاد الصيني الساذج أنْ يهرش جسمه ويخدشه وهو مطمئن هادئ هدوء الكنفوشيين. ولم يتقدم علم الطب تقدماً يستحق الذكر من أيام شي هوانج–دي إلى أيام الملكة الوالدة.

ولعل في وسعنا أن نقول هذا القول بعينه من علم الطب في أوربا من عهد أبقراط إلى عهد باستير وغزا الطب الأوربي بلاد الصين في صحبة المسيحية، ولكن المرضى الصينيين من الطبقات الدنيا ظلوا إلى أيامنا هذه يقصرون الانتفاع به على الجراحة. أما فيما عداها فهم يفضلون أطباءهم وأعشابهم القديمة على الأطباء الأوربيين والعقاقير الأوربية.

إمبراطورية مينج

كانت أسرة حاكمة للصين من ١٣٦٨ إلى ١٦٤٤، بعد انهيار أسرة يوان التي كان يتزعمها المنغول .المينگ، "واحد من أعظم العصور للحكم المنظم والاستقرار الاجتماعي في التاريخ البشري " كانت آخر أسرة في الصين من عرقية الهان . وبالرغم من أن عاصمة المينگ بيْجينگ سقطت في ١٦٤٤ في أيدي تمرد قاده لي زيچنگ، الذي سرعان ما حلّت محله أسرة چينگ من عرقية مانچو، إلا أن كوادر موالية لعرش مينگ (يُطلق عليها جمعاً مينگ الجنوبي) استمرت حتى ١٦٦٢.

حكمت أسرة مينج الصين من ١٣٦٨م إلى ١٦٤٤م، وهي فترة الحكم الصيني فيما بين الغزوين الأجنبيين، فقد سبقته إمبراطورية المغول وتبعته أسرة مانشو. واستعاد حكام مينج المؤسسات التقليدية، كالخدمة المدنية التي أوقفها المغول عن العمل. وامتدت السلطة الصينية إلى منغوليا وكوريا وجنوب شرقي آسيا وجزر ريوكيو.

كلمة مينج الصينية تعني المشرق، وقد كانت هذه الفترة مهمة، وخاصة في مجال الفنون. وقد شيَّد معماريو مينج القصر الإمبراطوري في منطقة المدينة الممنوعة في بكين. وما يزال العديد من هذه المباني قائمًا. صنع الفنانون كذلك الأواني من الخزف والبرونز واللك، كما وصل التجار الغربيون إلى الصين لأول مرة في تلك الفترة.

ولم تعرف الصين بعدئذ مثل هذا العهد الزاهر إلا بعد أربعة قرون، فسرعان ما دبّ الاضمحلال في أسرة يوان متأثرة بانهيار سلطان المغول

في أوربا وغرب آسيا وفي ذوبان المغول في جسم الشعب الصيني نفسه، إذا جاز أن نلجأ إلى هذه العبارة السهلة المتحذلقة لنعلل بها هذه الظاهرة التي تتكرر في جميع الأوقات.

وهناك أسباب أخرى لا تقلّ عن هذين السببين قوة وخطراً؛ ذلك أن إمبراطورية كالصين متسعة الرقعة قليلة التماسك من الناحية الطبيعية تفصلها الجبال والصحراوات والبحار لا يمكن أنْ تخضع إلى ما شاء الله لحكومة واحدة.

وقد كان المغول رجال حرب خيراً منهم رجال حكم وإدارة، ولذلك اضطر خلفاء قوبلاي خان أن يعودوا إلى نظام الامتحان وإلى الانتفاع بكفاية الصين الإدارية، ولم يُحدث الفتح المغولي أثراً يُذكر في عادات الصينيين وأفكارهم إلا ما عسى أن يكون قد أدخله في الأدب الصيني من الروايات والمسرحيات.

وتزوج الصينيون مرة أخرى من فاتحيهم ومدَّنوهم وغلبوهم على أمرهم، حتى إذا كان عام ١٣٦٨ تزعم أحد الكهنة البوذيين السابقين ثورة على هؤلاء الفاتحين ودخل بكين منتصراً وأعلن نفسه أول إمبراطور من أسرة السنج (أي المتألقين).

وجلس على العرش في الجيل التالي ملك قدير من ملوك هذه الأسرة، واستمتعت الصين في عهد يونج لو مرة أخرى بعهد جديد من عهود الرخاء، وعادت إلى تشجيع الفنون، بيد أن عهد الأسرة "المتألقة" انتهى مع ذلك بفترة من الفوضى والاضطراب والغزو الخارجي، وبينما كانت البلاد منقسمة إلى أحزاب متنافرة متعادية اجتاحتها جحافل المنشو.

أسرة تشينك

كانت آخر أسرة حاكمة للصين من ١٦٤٤ إلى ١٩١١. تأسست الأسرة الحاكمة من قِبل عائلة آيسن گيورو من شعب الجورچن المانچو في شمال شرق الصين، وهي المنطقة المعروفة تاريخيًّا باسم منشوريا. ففي أواخر القرن السادس عشر، بدأ نورحاجي، الذي كان والياً تابعاً لأسرة منگ، في تنظيم عشائر شعب الجورچن في" ألوية"، وهي وحدات عسكرية-اجتماعية ومشكـِّلاً بذلك شعب المانشو. وبحلول ١٦٣٦، بدأ ابنه هونگ تايجي في إجبار قوات منگ على مغادرة جنوب منشوريا وأعلن أسرة جديدة، چنِگ، وتعني "صافي" أو "شفاف".

وفي ١٦٤٤، سيطر الفلاحون المتمردون بقيادة لي زيچنگ على عاصمة منگ، بيْجنگ. وبدلاً من أن يخضع لهم، آثر جنرال المنگ وو سانگوي أن ينقل ولاءه إلى المانشو وفتح ممر شان هاي لجيوش الألوية بقيادة الأمير دورگون، الذي هزم المتمردين واستولى على بيْجنگ. فتح الصين نفسها لم يكتمل حتى ١٦٨٣ في عهد (كانگشي الامبراطور) حكم ١٦٦١-١٧٢٢.

الحملات العشر الكبرى للامبراطور چيان لونگ من ١٧٥٠ وحتى ع١٧٩٠ ليمد سيطرة چنگ إلى آسيا الوسطى. وبينما حافظ الحكام المبكرون على ثقافة المانشو، فقد حكموا مستخدمين أساليب ومؤسسات كونفوشية للحكم البيروقراطي.

فقد احتفظوا بالامتحانات الإمبراطورية لتعيين صينيي الهان للعمل جنباً بجنب مع المانشو. كما اعتنقوا مُثُل نظام الجزية في العلاقات الدولية.

شهد عهد چيانلونگ الامبراطور (1796-1735) قمة رخاء وسيطرة الإمبراطورية ثم بداية الانحدار. ارتفع أعداد السكان إلى نحو ٤٠٠ مليون، إلا أن الضرائب والموارد الحكومية ثُبِّتت عند مستوى منخفض، مما حتم وقوع أزمة مالية.

وحلَّ الفساد، واختبر المتمردون شرعية الحكومة، ولم تغير النخبة الحاكمة عقليتها في مواجهة التغيرات في النظام العالمي. أعقب حرب الأفيون، فرض القوى الاوروپية معاهدات تجارة حرة" غير متكافئة"، الإعفاء من القانون المحلي وموانئ المعاهدات تحت سيطرة الأجانب.

أدى تمرد تايپنگ1860-1849 وانتفاضات المسلمين في آسيا الوسطى إلى مقتل نحو ٢٠ مليون نسمة. وبالرغم من تلك الكوارث، فيتجديد تونگـژي في ع١٨٦٠، وتنادت نخبة صينيي الهان للدفاع عن النظام الكونفوشي وعن حكام چنگ.

الإنجازات الأولية لحركة تقوية الذات سرعان ما دمرتها الحرب الصينية اليابانية الأولى في ١٨٩٥، التي خسر فيها الچنگ نفوذهم في كوريا وخسروا كذلك امتلاكهم لتايوان.

تم تنظيم الجيوش الجديدة، إلا أن إصلاح المائة يوم الطموح في ١٨٩٨ فضّت الامبراطورة الأرملة تسيشي، الحاكمة القاسية القديرة. ورداً

على يي‌هی‌توان الملاكمون المناهضون بعنف للأجانب، غزت القوى الأجنبية الصين، وحينئذ أعلنت الامبراطورة الأرملة الحرب عليهم، مما أدى إلى هزيمة كارثية.

بعدئذ، بدأت الحكومة إصلاحات مالية وإدارية غير مسبوقة، بما فيها الانتخابات، وتشريع قانوني جديد، وإلغاء نظام الامتحانات. وتنافس صن يات–سن وثوريون آخرون مع المصلحين أمثال ليانگ چي‌چاو والملكيين أمثال ليانگ يووِيْ لتحويل إمبراطورية چنگ إلى إمارة عصرية.

بعد وفاة الامبراطورة الأرملة والامبراطور في ١٩٠٨، نفرَّ بلاط المانشو المتصلب كلاً من المصلحين والنخبة المحلية على السواء. وبدأت الانتفاضات في ١١ أكتوبر ١٩١١ وهي التي أدت إلى ثورة ١٩١١، وتنازل الإمبراطور الأخير عن العرش في ١٢ فبراير ١٩١٢.

تشكيل دولة مانشو :

عهد الأسرة "المتألقة" انتهى مع ذلك بفترة من الفوضى والاضطراب والغزو الخارجي: وبينما كانت البلاد منقسمة إلى أحزاب متنافرة متعادية اجتاحتها جحافل جديدة من الغزاة الفاتحين واقتحمت السور العظيم وحاصرت بكين. تلك هي جحافل المنشو.

وكان المنشو شعبًا تنگوسيًّا ظل قروناً كثيرة يعيش في البلاد التي تُعرف الآن باسم منشو كو (أي مملكة المنشو)، ومدوا فتوحهم في أول الأمر نحو الشمال حتى وصلوا إلى نهر آمور، ثم اتجهوا نحو الجنوب وهجموا على عاصمة الصينيين. وجمع آخر أباطرة المينج أسرته حوله

وشرب نخبهم، وأمر زوجته أن تنتحر، ثم شنق نفسه بمنطقته بعد أن كتب آخر أوامره على طية ثوبه.

ودفنه المنشو باحتفال يليق بكرامته، وأسسوا أسرة الشنج (الطاهرة) التي حكمت الصين حتى عهدنا الثوري الحاضر.

وسرعان ما أصبحوا هم أيضًا صينيين، واستمتعت البلاد تحت حكم كانج شي بعهد من الرخاء والسلم والاستنارة لم تعرف له مثيلاً في تاريخها كله. جلس هذا الإمبراطور على العرش وهو في السابعة من عمره، فلما بلغ الثالثة عشرة أمسك بيده زمام الأمور في إمبراطورية لم تكن تشمل وقتئذ بلاد الصين وحدها، بل كانت تشمل معها بلاد المغول ومنشوريا وكوريا والهند الصينية وأنام والتبت والتركستان.

وما من شك في أنها كانت أكبر إمبراطوريات ذلك العهد وأكثرها ثروة وسكاناً. وحكمها كانج شي بحكمة وعدل حسدها عليهما معاصراه أورنجزيب ولويس الرابع عشر.

وكان الإمبراطور نفسه رجلاً نشيطاً قوي الجسم والعقل، ينشد الصحة في الحياة العنيفة خارج القصور ويعمل في الوقت نفسه على أن يُلم بعلوم تلك الأيام وفنونها. وكان يطوف في أنحاء مملكته ويصلح ما فيها من العلوم حيثما وجدها، ومن أعماله أنه عدَّل قانونها الجنائي.

وكان يعيش عيشة بسيطة ليس فيها شيء من الإسراف أو الترف، ويقتصد في نفقات الدولة الإدارية ويفخر بالعمل على رفاهية شعبه. وازدهرت الآداب والعلوم في أيامه بفضل تشجيعه إياها ومناصرتها؛ وعاد

فن الخزف إلى أعلى ما وصل إليه في أيام مجده السابقة. وكان متسامحاً في الأمور الدينية فأجاز كل العبادات ودرس اللغة اللاتينية على القساوسة اليسوعيين، وصبر على الأساليب الغربية التي كان يتبعها التجار الأوربيون في ثغور بلاده.

ولما مات بعد حكمه الطويل الموفق (١٦٦١- ١٧٢٢) كان آخر ما نطق به هو هذه الألفاظ: "إني لأخشى أن تتعرض الصين في مئات أو آلاف السنين المقبلة إلى خطر الاصطدام مع مختلف الأمم الغربية التي تفد إلى هذه البلاد من وراء البحار"

وبرزت هذه المشاكل الناشئة من ازدياد التبادل التجاري والاتصال بين الصين وأوربا مرة أخرى في عهد إمبراطور آخر قدير من أسرة المنشو هو شين لونج .وكان هذا الإمبراطور شاعراً أنشأ ٣٤,٠٠٠ قصيدة إحداها في "الشاي" وصلت إلى مسامع ڤولتير فأرسل "تحياته إلى ملك الصين الفاتن"، وصوَّره المصورون الفرنسيون وكتبوا تحت صورته باللغة الفرنسية أبياتاً من الشعر لا توفيه حقه من الثناء يقولون فيها:

"إنه يعمل جاهداً دون أن يخلد إلى الراحة للقيام بأعمال حكومته المختلفة التي يعجب الناس بها. وهذا الملك أعظم ملوك العالم وهو أيضاً أعلم الناس في إمبراطوريته بفنون الأدب."

وحكم الصين جيلين كاملين (١٧٣٧- ١٧٩٦م)، ونزل عن المُلك لما بلغ الثامنة والخمسين، ولكنه ظل يشرف على حكومة البلاد حتى توفي (١٧٩٩م). وحدثت في آخر سني حكمه حادثة كان من شأنها أن

تذكّر المفكرين من الصينيين بما أنذرهم به كانج- شي، فقد أرسلت إنجلترا بعد أن أثارت غضب الإمبراطور باستيراد الأفيون إلى بلاد الصين بعثة برياسة لورد مكارتني لتفاوض شين لونج في عقد معاهدة تجارية بين البلدين.

وأخذ المبعوثون الإنجليز يشرحون للإمبراطور المزايا التي تعود عليه من تبادل التجارة مع إنكلترا، وأضافوا إلى أقوالهم أن المعاهدة التي يريدون عقدها سيفترض فيها مساواة ملك بريطانيا بإمبراطور الصين، فما كان من شين لونج إلا أن أملى هذا الجواب ليُرسل إلى جورج الثالث:

"إن الأشياء العجيبة البديعة لا قيمة لها في نظري؛ وليس لمصنوعات بلادكم فائدة لديَّ. هذا إذن هو ردي على ما تطلبون إليَّ من تعيين ممثل لكم في بلاطي وهو طلب يتعارض مع عادات أسرتي ولا يعود عليكم إلا بالمتاعب. لقد شرحت لك آرائي مفصلة وأمرت مبعوثيك أن يغادروا البلاد في سلام عائدين إلى بلادهم، وخليقٌ بك أيها الملك أن تحترم شعوري هذا، وأن تكون في المستقبل أكثر إخلاصاً وولاء مما كنت في الماضي، حتى يكون خضوعك الدائم لعرشي من أسباب استمتاع بلادك بالسِّلم والرخاء في مستقبل الأيام".

بهذه العبارات القوية الفخورة حاولت الصين أنْ تدرأ عنها شر الانقلاب الصناعي، ولكننا سنعرف في الفصول التالية كيف غزت الثورة الصناعية البلاد رغم هذا الاحتياط. ولندرس الآن قبل الكلام عن هذه الثورة العناصر الاقتصادية والسياسية والخلقية التي تتألف منها تلك

الحضارة الفذة المستنيرة الجديرة بالدرس، والتي يبدو أن الثورة الصناعية ستقضي عليها القضاء الأخير.

حكم الإمبراطورة الأرملة تسي‌شي :



حكومة ومجتمع تشينگ :

الصين في عهد تشينگ عام ١٨٩٢

إن أكثر ما يروعنا في هذه الحضارة هو نظام حكومتها. وإذا كانت الدولة المثالية هي التي تجمع بين الديمقراطية والأرستقراطية فإن الصينيين قد أنشأوا هذه الدولة منذ ألف عام أو تزيد؛ وإذا كانت خير

الحكومات هي أقلها حكمًا، فقد كانت حكومة الصين خير حكومات العالم على الإطلاق. ولم يشهد التاريخ قط حكومة كان لها رعايا أكثر من رعايا الحكومة الصينية أو كانت في حكمها أطول عهدًا وأقلّ سيطرة من تلك الحكومة.

ولسنا نقصد بهذا أن الفردية أو الحرية الفردية كان لها شأن عظيم في بلاد الصين؛ ذلك أن فكرة الفردية كانت ضعيفة في تلك البلاد، وأن الفرد كان مغمورًا في الجماعات التي ينتمي إليها. فقد كان أولاً عضوًا من أعضاء أسرة، ووحدة عابرة في موكب الحياة بين أسلافه وأخلافه.

وكانت القوانين والعادات تُحمِّله تبعة أعمال غيره من أفراد أسرته، كما يحملون هم تبعة أعماله؛ وكان فضلاً عن هذا ينتمي عادة إلى جمعية سرية، وإذا كان من سكان الحواضر فإنه ينتمي إلى نقابة من نقابات الحرف.

وهذه كلها أمور تحدّ من حقه في أن يفعل ما يشاء، وكان يحيط به فضلاً عن هذا طائفة من العادات القديمة ويهدده رأي عام قوي بالطرد من البلاد إذا خرج على أخلاق الجماعة أو تقاليدها خروجًا خطيرًا. وكانت قوة هذه النظم الشعبية التي نشأت بطبيعتها من حاجات الناس وتعاونهم الاختياري هي التي مكَّنت الصين من أن تحتفظ بنظامها واستقرارها رغم ما يشوب القانون والدولة من لِينٍ وضعف.

الحكم الذاتي :

ولكن الصينيين ظلوا أحرارًا من الناحيتين السياسية والاقتصادية في داخل هذا الإطار من نظم الحكم الذاتي التي أقاموها بأنفسهم لأنفسهم.

لقد كانت المسافات الشاسعة التي تفصل كل مدينة عن الأخرى وتفصل المدن كلها عن عاصمة الإمبراطورية، والجبال الشامخة والصحاري الواسعة والمجاري التي تتعذر فيها الملاحة أو لا تقوم عليها القناطر، وانعدام وسائل النقل والاتصال السريع وصعوبة تموين جيش كبير يكفي لفرض سلطان الحكومات المركزية على شعب تبلغ عدَّته أربعمائة مليون من الأنفس – كانت هذه كلها عوامل تضطر الدولة لأنْ تترك لكل إقليم من أقاليمها استقلالاً ذاتيًا يكاد أن يكون كاملاً من كل الوجوه.

القرية والإقليم :

وكانت وحدة الإدارة المحلية هي القرية يحكمها حكمًا متراخيًا رؤساء العشائر بإشراق "زعيم" منهم ترشحه الحكومة. وكانت كل طائفة من القرى مجتمعة حول بلدة كبيرة تؤلف "بينا" أي مقاطعة بلغت عدّتها في الصين نحو ألف وثلاثمائة. ويتألف من كل بينين أو أكثر تحكمهما معًا مدينة "فو"، ومن كل فوين أو ثلاثة "داو" أي دائرة، ومن كل داوين أو أكثر "شنج" أي إقليم.

وكانت الإمبراطورية في عهد المنشو تتألف من ثمانية عشر من هذه الأقاليم، وكانت الدولة تعين من قبلها موظفًا في كل بين يدير شئونه، ويجبى ضرائبه، ويفصل في قضاياه، وتعين موظفًا آخر في كل فو وآخر في كل داو؛ كما تعين قاضيًا، وخازنًا لبيت المال، وحاكمًا، ونائبًا للإمبراطور أحيانًا في كل إقليم.

ولكن هؤلاء الموظفين كانوا يقنعون أحيانًا بجباية الضرائب والفروض الأخرى والفصل في المنازعات التي يعجز المحكِّمون عن تسويتها بالحسنى، ويتركون حفظ النظام لسلطان العادة وللأسرة والعشيرة والنقابة الطائفية.

وكان كل إقليم ولاية شبه مستقلة لا تتدخل الحكومة الإمبراطورية في أعمالها، ولا تفرض عليها شرائعها طالما كانت تدفع حصتها من الضرائب وتحافظ على الأمن والنظام في داخل حدودها. وكان انعدام وسائل الاتصال السهلة مما جعل الحكومة المركزية فكرة معنوية أكثر منها حقيقة واقعية. ومما جعل عواطف الأهلين الوطنية تنصرف في دوائرهم وأقاليمهم، ولا تتسع إلا في القليل النادر حتى تشمل الإمبراطورية بوجه عام.

تراخي القانون وصرامة العقاب :

وفي هذا البناء غير المحكم كان القانون ضعيفًا، بغيضًا، متباينًا. وكان الناس يفضلون أن تحكمهم عاداتهم وتقاليدهم، وأنْ يُسووا نزاعهم بالتراضي خارج دور القضاء. وكانوا يعبّرون عن آرائهم في التقاضي بمثل هذه الحِكَم والأمثال القصيرة القوية: "قاض برغوثا يعضك" و"اكسب قضيتك تخسر مالك".

وكانت تمر سنون على كثير من المدن التي تبلغ عدة أهلها آلافاً مؤلفة لا تُرفع فيها قضية واحدة إلى المحاكم، وكانت قوانين البلاد قد جمعت في عهد أباطرة تانج ولكنها كلها اقتصرت تقريبًا على الجرائم ولم تُبذل محاولات جدية لوضع قانون مدني.

وكانت المحاكمات بسيطة سهلة لأن المحامي لم يكن يُسمح له بمناقشة الخصم داخل المحكمة، وإن كان في استطاعة كُتَّاب مرخصين من الدولة أن يعدوا في بعض الأحيان تقارير بالنيابة عن المتقاضين ويتلوها على القاضي. ولم يكن هناك نظام للمحلفين، ولم يكن في نصوص القوانين ما يحمي الفرد من أن يقبض عليه موظفو الدولة على حين غفلة ويعتقلوه. وكانت تؤخذ بصمات أصابع المتهمين، ويلجأ أحيانًا إلى تعذيبهم لكي يقروا بجرائمهم.

ولم يكن هذا التعذيب الجسمي ليزيد إلا قليلاً على ما يُتبع الآن لهذا الغرض عينه في أكثر المدن رقيًّا. وكان العقاب صارمًا، وإن لم يكُن أشّد وحشية مما كان في معظم بلاد القارة الآسيوية؛ وكان أوله قص الشعر ويليه الضرب ثم النفي من البلاد ثم الإعدام.

وإذا كان المتهم ذا فضائل غير معهودة أو كان من طبقة راقية سُمح له أن ينتحر. وكانت العقوبات تُخفف أحيانًا تخفيفًا كريمًا، وكان حكم الإعدام لا يصدر في الأوقات العادية إلا من الإمبراطور نفسه.

وكان الناس جميعًا من الناحية النظرية سواسية أمام القانون، شأنهم في هذا كشأننا نحن في هذه الأيام. ولكن هذه القوانين لم تمنع السطو في الطرق العامة أو الارتشاء في وظائف الدولة ودور القضاء، غير أنها كان لها قسط متواضع في معاونة الأسرة والعادات الموروثة في أن تهبَ الصين درجة من النظام الاجتماعي والأمن والاطمئنان الشخصي لم تضارعها فيها أمة أخرى قبل القرن العشرين.

الإمبراطور :

وكان الإمبراطور يشرف على هذه الملايين الكثيرة من فوق عرشه المزعزع. وكان يحكم من الوجهة النظرية بحقه المقدس؛ فقد كان هو "ابن السماء" وممثل الكائن الأعلى في هذه الأرض. وبفضل سلطانه الإلهي هذا كانت له السيطرة على الفصول، وكان يأمر الناس أنْ يُوفقوا بين أعمالهم وبين النظام السماوي المسيطر على العالم، وكانت كلمته هي القانون وأحكامه هي القضاء الذي لا مردَّ له.

وكان المدبر لشؤون الدولة ورئيس ديانتها، يعين جميع موظفيها ويمتحن المتسابقين لأعلى مناصبها ويختار منْ يخلفه على العرش. لكن سلطانه كان يحده من الوجهة العملية القانون والعادات المرعية، فكان ينتظر منه أن يحكم من غير أن يخرج على النظم التي انحدرت من الماضي المقدس. وكان معرضًا في أي وقت لأن يعزَّر على يد رجل ذي مقام كبير يُسمى بالرقيب.

وكان في واقع الأمر محوطاً بحلقة قوية من المستشارين والمبعوثين من مصلحته أن يعمل بمشورتهم، وإذا ظلم أو فسد حكمه خسر بحكم العادات المرعية وباتفاق أهل الدولة "تفويض السماء"، وأمكن خلعه بالقوة من غير أن يُعد ذلك خروجًا على الدين أو الأخلاق.

الرقيب :

وكان الرقيب رئيس مجلس مهمته التفتيش على جميع الموظفين في أثناء قيامهم بواجباتهم، ولم يكن الإمبراطور نفسه بمنجاة من إشرافه. وقد حدث مرارًا في تاريخ الصين أن عزر الرقيب الإمبراطور نفسه. من ذلك أن

الرقيب سونج أشار على الإمبراطور جياه تشنج (١١٩٦-١٨٢١)، بالاحترام اللائق بمقامه العظيم طبعًا، أن يراعى جانب الاعتدال في صلاته بالممثلين وبتعاطي المسكرات. فما كان من جياه تشنج إلا أن استدعى سونج للمثول أمامه، وسأله وهو غاضب: أي عقاب يليق أن يوقع على من كان موظفًا وقحًا مثله، فأجابه سونج: "الموت بتقطيع جسمه إرباً".

ولمَّا أمره الإمبراطور باختيار عقاب أخف من هذا أجابه بقوله "إذن فليقطع رأسي" فطلب إليه مرة أخرى أن يختار عقابًا أخف فاختار أن يُقتل خنقًا. وأعجب الإمبراطور بشجاعته وخشي وجوده بالقرب منه فعيَّنه حاكمًا على إقليم إيلي.

المجالس الإدارية :

وأضحت الحكومة المركزية على مر الزمن أداة إدارية شديدة التعقيد. وكان أقرب الهيئات إلى العرش المجلس الأعلى، ويتكون من أربعة "وزراء كبار" يرأسهم في العادة أمير من أمراء الأسرة المالكة. وكان يجتمع بحكم العادة في كل يوم في ساعات الصباح المبكرة لينظر في شؤون الدولة السياسية. وكان يعلو عنه في المنزلة، ولكن يقل عنه في السلطان، هيئة أخرى من المستشارين يسمون بـ "الديوان الداخلي".

وكان يشرف على الأعمال الإدارية "ستة مجالس" للشؤون المدنية، والدخل، والاحتفالات، والحرب، والعقوبات، والأشغال العامة؛ وكان ثمة إدارة للمستعمرات تُصرّف شؤون الأقاليم النائية مثل منغوليا، وسنكيانج والتبت. ولكنها لم تكن لها إدارة للشؤون الخارجية، لأن الصين لم تكن تعترف بأن في العالم دولة مساوية لها، ومن أجل ذلك لم تُنشأ في بلادها

للاتصال بها غير ما وضعته من النظم لاستقبال البعوث التي تحمل لها الخراج.

وكان أكبر أسباب ضعف الحكومة قلة مواردها وضعف وسائل الدفاع عن أراضيها ورفضها كل اتصال بالعالم الخارجي يعود عليها بالنفع. لقد فرضت الضرائب على أراضيها، واحتكرت بيع الملح، وعطلت نماء التجارة بما فرضته بعد عام ١٨٢١ من عوائد على انتقال البضائع على طرق البلاد الرئيسية، ولكن فقر السكان، وما كانت تعانيه من الصعاب في جباية الضرائب والمكوس، وما يتصف به الجباة من الخيانة.

كل هذا قد ترك خزانة الدولة عاجزة عن الوفاء بحاجات القوى البحرية والبرية التي كان في وسعها لولا هذا العجز أن تنقذ البلاد من مذلة الغزو والهزيمة.

ولعل أهم أسباب هزائمها هو فساد موظفي حكومتها؛ وذلك أن ما كان يتصف به موظفوها من جدارة وأمانة قد ضعف في خلال القرن التاسع عشر، فأضحت البلاد تعوزها الزعامة الرشيدة في الوقت الذي كانت فيه نصف ثروة العالم ونصف قواه يتجمعان لسل استقلالها وانتهاب مواردها والقضاء على أنظمتها.

الإعداد للمناصب العامة :

بيد أن أولئك الموظفين كانوا يُختارون بوسيلة لا مثيل لها في دقتها وتُعد في جملتها أجدر وسائل الاختيار بالإعجاب والتقدير، وخير ما وصل إليه العالم من الوسائل لاختيار الخدام العموميين. لقد كانت وسيلة جديرة

بإعجاب أفلاطون، ولا تزال رغم عجزها وتخلي الصين عنها تقرب الصين إلى قلوب الفلاسفة. وكانت هذه الطريقة من الناحية النظرية توفق أحسن التوفيق بين المبادئ الأرستقراطية والديمقراطية: فهي تمنح الناس جميعًا فرصة متكافئة لإعداد أنفسهم للمناصب العامة، ولكنها لا تفتح أبواب المناصب إلا لمن أعدوا أنفسهم لها. ولقد أنتجت خير النتائج من الوجهة العملية مدى ألف عام.

وكانت بداية هذه الطريقة في مدارس القرى – وهي معاهد خاصة ساذجة لا تزيد قليلا على حجرة واحدة في كوخ صغير – كان يقوم فيها معلم واحد بتعليم أبناء أسر القرية تعليمًا أوليًّا ينفق عليه بما يؤديه هؤلاء الأبناء من أجر ضئيل.

أما النصف الفقير من السكان فقد ظل أبناؤه أميين. ولم تكن الدولة هي التي تنفق على تلك المدارس، ولم يكن الكهنة هم الذين يديرونها، ذلك أن التعليم قد بقي في الصين كما بقي الزواج فيه مستقلا عن الدين لا صلة بينهما سوى أن الكنفوشية كانت عقيدة المعلمين.

وكانت أوقات الدراسة طويلة كما كان النظام صارمًا في هذه المدارس المتواضعة، فكان الأطفال يأتون إلى المعلم في مطلع الشمس ويدرسون معه حتى الساعة العاشرة، ثم يفطرون ويواصلون الدرس حتى الساعة الخامسة، ثم ينصرفون بقية النهار.

وكانت العطلات قليلة العدد قصيرة الأجل، وكانت الدراسة تُعطل بعد الظهر في فصل الصيف، ولكن هذا الفراغ الذي كان يُصرف في العمل في الحقول كان يُعوَّض بفصول مسائية في ليالي الشتاء.

وكان أهم ما يتعلمه الأطفال كتابات كنفوشيوس وشعر تانج؛ وكانت أداة المعلم عصا من الخيزران. وكانت طريقة التعليم الحفظ عن ظهر قلب؛ فكان الأطفال الصغار يواصلون حفظ فلسفة المعلم كونج ويناقشون فيها مدرسهم حتى ترسخ كل كلمة من كلماته في ذاكرتهم وحتى يستقر بعضها في قلوبهم.

وكانت الصين تأمل أنْ يتمكن جميع أبنائها، ومنهم الزراع أنفسهم، بهذه الطريقة القاسية الخالية من اللذة أن يصبحوا فلاسفة وسادة مهذبين، وكان الصبي يخرج من المدرسة ذا علم قليل وإدراك كبير، جاهلاً بالحقائق ناضج العقل .

الترشيح بالتعليم :

وكان هذا التعليم هو الأساس الذي أقامت عليه الصين – في عهد أسرة هان على سبيل التجربة وفي عهد أسرة تانج بصفة نهائية – نظام تولي المناصب العامة بالامتحان. ومن أقوال الصينيين في هذا: إن من أضر الأمور بالشعب أن يتعلم حكامه طرق الحكم بالحكم نفسه، وإن من واجبهم كلما استطاعوا أن يتعلموا طرق الحكم قبل أن يحكموا.

ومن أضر الأمور بالشعب أن يحال بينه وبين تولي المناصب العامة، وأن يصبح الحكم امتيازا تتوارثه فئة قليلة من أبناء الأمة؛ ولكن من الخير للشعب أن تقصر المناصب على منْ أعدوا لها بفضل مواهبهم وتدريبهم.

وكان الحل الذي عرضته الصين لمشكلة الحكمة القديمة المستعصية هي أن تتيح لكل الرجال ديمقراطيًّا فرصة متكافئة لأن يدربوا هذا التدريب، وأن تقصر الوظائف أرستقراطيًّا على من يثبتون أنهم أليق الناس لأنْ

يتولوها. ومن أجل هذا كانت تُعقد في أوقات معينة امتحانات عامة في كل مركز من المراكز يتقدم إليها كل منْ شاء من الذكور متى كانوا في سن معينة.

نظام الامتحانات :

وكان المتقدم إلى الامتحان يمتحن في قوة تذكره وفهمه لكتابات كنفوشيوس، وفي مقدار ما يعرف من الشعر الصيني ومن تاريخ الصين، وفي قدرته على أن يكتب أبحاثًا في السياسة والأخلاق كتابة تدل على الفهم والذكاء. وكان في وُسع من يخفق في الامتحان أنْ يعيد الدرس ويتقدم إليه مرة أخرى، ومنْ نجح منح درجة شيو دزاي التي تؤهله لأن يكون عضوًا في طبقة الأدباء ولأن يعين في المناصب الصغرى في الحكومة الإقليمية.

وأهم من هذا أن يكون من حقه أنْ يتقدم إما مباشرة أو بعد استعداد جديد لامتحان آخر يُعقد في الأقاليم كل ثلاث سنوات شبيه بالأول ولكنه أصعب منه. ومنْ أخفق فيه أجاز أن يتقدم إليه مرة أخرى؛ وكان يفعل ذلك كثيرون من المتقدمين فكان يجتازه في بعض الأحيان رجال جاوزوا الثمانين وظلوا طوال حياتهم يدرسون.

وكثيرا ما مات الناس وهم يتأهبون لدخول هذه الامتحانات. وكان الذين ينجحون يُختارون للوظائف الحكومية الصغرى، كما كان من حقهم أن يتقدموا للامتحان النهائي الشديد الذي يُعقد في بكين.

وكان في تلك المدينة ردهة للامتحان العام تحتوي على عشرة آلاف حجرة انفرادية يقضى فيها المتسابقون ثلاثة أيام متفرقة في عزلة تامة،

ومعهم طعامهم وفراشهم، يكتبون مقالات أو رسائل في موضوعات تعلم لهم بعد دخولهم.

وكانت هذه الغرف خالية من وسائل التدفئة والراحة رديئة – الإضاءة غير صحية لأن الروح لا الجسم – في رأيهم – هي التي يجب أن تكون موضع الاهتمام!

وكان من الموضوعات المألوفة في هذه الامتحانات أنْ ينشئ المتقدم قصيدة في: "صوت المجاديف والتلال الخضراء والماء"، وأن يكتب مقالاً عن الفقرة الآتية من كتابات كنفوشيوس. قال دزانج دزي: "من يك ذا كفاية ويسأل منْ لا كفاية له؛ ومنْ يك ذا علم كثير ويسأل منْ لا يعلم إلا القليل؛ ومن يملك ثم يتظاهر بأنه لا يملك؛ ومن يمتلئ ثم يبدي أنه فارغ".

ولم يكن في أي امتحان من هذه الامتحانات كلمة واحدة عن العلوم أو الأعمال التجارية أو الصناعية؛ لأنها لم تكن تهدف إلى تبين علم الرجل بل ترمي إلى معرفة ما له من حكم صادق وخلق قويم، وكان كبار موظفي الدولة يُختارون من الناجحين في هذا الامتحان النهائي.

عيوبه :

وتبين على مرِّ الزمن ما تنطوي عليه هذه الطريقة من عيوب. فقد وجد الغش سبيله إلى الحكم في الامتحان، وإن كان الغش في الامتحان أو في تقديره يعاقب عليه أحيانا بالإعدام. وأصبح شراء الوظائف بالمال كثيرًا متفشيًّا في القرن التاسع عشر.

من ذلك أن موظفًا صغيرًا باع عشرين ألف شهادة مزورة قبل أن يُكشف أمره. ومنها أن صورة المقالة التي تكتب في الامتحان أصبحت صورة عادية معروفة يُعد المتسابقون أنفسهم لها إعدادًا آليًّا.

كذلك كان منهج الدراسة ينزع إلى الهبوط بالثقافة إلى الصور الشكلية دون اللباب، ويحول دون الرقي الفكري، لأن الأفكار التي كانت تُتداول في هذه المقالات قد تحددت وتعينت خلال مئات السنين.

وكان من آثارها أن أصبح الخريجون طبقة بيروقراطية ذات عقلية رسمية متعجرفة بطبيعتها، أنانية، مستبدة في بعض الأحيان، وفاسدة في كثير من الأحوال؛ لا يستطيع الشعب مع ذلك أن يعزلها أو يشرف على أعمالها إلا إذا لجأ بعد يأسه إلى الطريقة الخطرة طريقة الإضراب عن طاعتها أو مقاطعتها وعدم التعامل معها.

وقصارى القول أن هذا النظام كان ينطوي على كل العيوب النى يمكن أن ينطوي عليها أيُّ نظام حكومي يبتدعه ويسيره بنو الإنسان؛ فعيوبه هي عيوب القائمين عليه لا عيوب النظام نفسه، وليس ثمة نظام آخر لم يكُن فيه من العيوب مما في هذا النظام.

مزاياه :

أما مزاياه فهي كثيرة: فهو برئ من طريقة الترشيح وما يؤثر فيها من تيارات خفية؛ وليس فيه مجال للمساعي الدنيئة وللنفاق والخداع في تصوير النتائج، ولا تدور فيه المعارك الصورية بين الأحزاب، ولا يتأثر بالانتخابات الفاسدة ذات الجلبة والضجيج، ولا يتيح الفرصة لتسلم المركز

الرفيع عن طريق الشهرة الزائفة. لقد كانت الحكومة القائمة على هذا النظام حكومة ديمقراطية على الزعامة وعلى المناصب الرفيعة.

وكانت أرستقراطية في أحسن صورها، لأنها حكومة يتولاها أقدر الرجال الذين اختيروا اختيارًا ديمقراطيًّا من بين جميع طبقات الشعب ومن كل جيل. وبفضل هذه الطريقة وجهت عقول الأمة ومطامعها وجهة الدرس والتحصيل، وكان أبطالها الذين تقتدي بهم هم رجال العلم والثقافة لا سادة المال.

ولقد كان جديرًا بالإعجاب أن يجرب مجتمع من المجتمعات أن يحكمه من الناحيتين الاجتماعية والسياسية رجال أعدوا للحكم بتعلم الفلسفة والعلوم الإنسانية، ولذلك كان من شر المآسي أن تنقض قوى التطور والتاريخ القاسية التي لا ترحم ولا تلين على ذلك النظام الفذ وعلى جميع معالم الحضارة التي كان هو أهم عناصرها فتدمرها تدميرًا.

جمهورية الصين

تاريخ جمهورية الصين (تايوان)

تأسست جمهورية الصين عام ١٩١١ لترث أراضي أسرة تشينگ وتقضي على أكثر من ألفي عام من الحكم الإمبراطوري للبلاد. والصين هي أقدم دول شرق آسيا الباقية حتى الآن.

وقد مرت الأراضي الصينية بفترات متعاقبة من حكم أباطرة الحرب والغزو الياباني للبلاد خلال الحرب العالمية الثانية وصولاً إلى الحرب الأهلية بين الكومنتانگ والشيوعيين، عندما انتقلت حكومة جمهورية الصين إلى جزيرة تايوان، التي شهدت ازدهارًا صناعيًّا ونموًّا اقتصاديًّا وتحولاً قويًّا نحو الديمقراطية منذ ذلك الحين.

وبداية من عام ١٩٢٨ كانت الجمهورية الصينية جمهورية أحادية الحزب تحت حكم الكومنتانگ (الحزب الوطني الصيني). وفي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ اتخذ الكومنتانگ العديد من القرارات التي كان من شأنها تخفيف حدة التوتر بالبلاد، حيث قاموا بإصدار قرارات بإعادة هيكلة الأجهزة المختلفة للدولة وقرار الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الفردية للأراضي.

أعقب هذه القرارات فترة من الازدهار والنمو الاقتصادي المتسارع أصبحت فيها جمهورية الصين واحدة من النمور الآسيوية الأربعة بالرغم

من التهديد المتنامي بالحرب وعدم الشعور بالطمأنينة والخطر القائم من قبل جمهورية الصين الشعبية.

وفي الفترة الممتدة بين عاميّ ١٩٨٠ و ١٩٩٠ تحولت الدولة سلميًّا نحو الديمقراطية، وتم إجراء أول انتخابات رئاسية بالبلاد عام ١٩٩٦.

وفي الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠ فاز تشن شوي بيان برئاسة البلاد وكان أول رئيس يحكم البلاد من خارج الحزب الوطني الصيني (الكومنتانگ) منذ عام ١٩٤٩. ولكن الكومنتانگ عادوا للفوز في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٨، كما عززوا مواقعهم بالانتخابات التشريعية بحصولهم على عدد أكبر من المقاعد بمجلس اليوان التشريعي.

الجمهورية المبكرة (١٩١٢-١٩١٦) :

في عام ١٩١١، وبعد أكثر من ألفي عام من الحكم الإمبراطوري للبلاد، تأسست جمهورية الصين، بعد أن قامت جماعة من الثوار بالإطاحة بالنظام الحاكم والبلاط الإمبراطوري لأسرة تشينگ الحاكمة التي ظلت لمدة قرن كامل قبل هذا التاريخ تعاني من الثورات الداخلية والتحكم الدولي في شؤونها الداخلية من قِبَل الإمبراطوريات الأخرى،

وأصبحت التعاليم الكونفوشية التي وطدت حكم أسرة تشينگ للبلاد موضع تساؤل بالإضافة إلى انعدام الثقة العام بالثقافة القومية الذي دفع البلاد إلى حالة من اليأس العام مما اضطر أكثر من ٤٠ مليون فرد من

الشعب (حوالي ١٠% من إجمالي الشعب في ذلك الوقت) إلى إدمان مادة الهيروين المخدرة.

وخلال فترة قمع ثورة الملاكمين عام ١٩٠٠ من جانب تحالفٍ قادته ثمانية من الدول العظمى في ذلك الوقت (روسيا واليابان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والإمبراطورية النمساوية المجرية) كانت إمبراطورية تشينگ قد ماتت إكلينيكيًّا بالفعل، إلا أن عدم وجود نظام حاكم بديل يأخذ بمقاليد الحكم أجَّل زوالها إلى عام ١٩١٢.

أُعلن قيام الجمهورية الصينية بعد نجاح ثورة " وو تشانگ " التي اندلعت شرارتها في العاشر من أكتوبر عام ١٩١١ ضد حكم أسرة تشينگ للبلاد، وأصبح هذا التاريخ منذ ذلك الوقت العيد القومي لجمهورية الصين، ويُعرف باسم يوم "العشرتين"، كناية باليوم والشهر اللذين اندلعت فيهما الثورة.

وفي الأول من يناير عام ١٩١٢ أعلن صن يات–سن قيام الجمهورية بالصين رسميًّا ونصَّب نفسه رئيسًا مؤقتًا للبلاد لحين انتخاب رئيس يحكم البلاد.

وفي العاشر من مارس عام ١٩١٢، وكجزء من اتفاقية تنازل الإمبراطور پويي عن عرش البلاد تم انتخاب يوان شيكاي رسميًّا كرئيس للبلاد، إلا أنه قام بحلِّ مجلس الكومنتانگ وعطل العمل بالدستور بموجب سلطاته كرئيس للبلاد وأعلن نفسه إمبراطورًا على الصين في الأول من يناير عام ١٩١٦.

انتشار العصابات، يوان شيكاي وحرب الحماية الوطنية



يوان شيكاي كإمبراطور إمبراطورية الصين (١٩١٥–١٩١٦)

حرض زعماء العصابات بالاشتراك مع الحركات الشعبية على قيام الثورات، بدعم من ثوار صن يات–سن من كانتون. زعيم العصابة باي لانگ نهب ودمر كثيرًا من الصين الوسطى قبل أن يسحقه جيش بِيْيانگ التابع ليوان شيكاي، عصابة ما المسلمة والميليشيات التبتية. أولئك الزعماء كانوا متحالفين مع گلاوهوي.

إلا أن هجرة حلفائه وإعلان العديد من المقاطعات استقلالها عن الصين وتحولها إلى إمبراطوريات متناثرة في أيدي أباطرة الحرب دفع يوان شيكاي إلى التنازل عن كونه إمبراطورًا للصين في الثاني والعشرين من عام ١٩١٦ ثم توفي لأسباب طبيعية بعدها بفترة وجيزة .

بعد وفاة شيكاي، هجرت التحالفات زعماء الحرب الإقليميين للقتال من أجل السيطرة على حكومة بكين. بالرغم من حقيقة أن مختلف زعماء الحرب قد نجحوا في السيطرة على الحكومة في بكين أثناء فترة زعماء الحرب، فإن هذا لم يؤسس فترة جديدة من السيطرة أو الحوكمة، لأن زعماء الحرب الآخرين لم يعترفوا بالحكومات الانتقالية في تلك الفترة، وكانوا قانوناً قائماً بذاته.

هذه الحكومات العسكرية كانت تُعرف بحكومة بيانگ . بعض المؤرخين يعتبر أن فترة زعماء الحرب قد انتهت عام ١٩٢٧.

الحرب العالمية الأولى واستعادة المانشو الوجيزة:

استعادة المانشو **Manchu Restoration** في يوليو ١٩١٧ كانت محاولة لاستعادة الملكية في الصين من قِبل الجنرال ژانگ شون، الذي استولى جيشه على بكين ولفترة وجيزة أعاد تنصيب آخر إمبراطور من أسرة تشينگ، پويي، على العرش. استمرت الاستعادة أياماً معدودات، من ١ يوليو حتى ١٢ يوليو، وسرعان ما دحرتها القوات الجمهورية.

المواجهة بين الرئيس لي يوان‌هونگ ورئيس الوزراء دوان چي‌روي حول الانضمام إلى قوى الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وإعلان الحرب على ألمانيا، أدت إلى قلاقل سياسية في بكين في ربيع ١٩١٧.

غادر الحكام العسكريون بكين بعد طرد دوان چي‌روي كرئيس وزراء. وقد تجمَّعوا في تيانجين، داعين قوات المقاطعات للتمرد على "لي" والاستيلاء على العاصمة، بالرغم من معارضة سلاح البحرية والمقاطعات

الجنوبية. وردًا على ذلك في ٧ يونيو ١٩١٧، طلب لي من الجنرال ژانگ شون أن يتوسط. فطلب الجنرال ژانگ حلّ البرلمان، الذي اعتبره لي غير دستوري.

في صبيحة ١ يوليو ١٩١٧، استغل الجنرال الملكي ژانگ شون القلاقل ودخل العاصمة، معلناً استعادة پويي امبراطوراً على الصين في الساعة الرابعة صباحاً بموكب صغير وأحيى ملكية تشينگ التي كانت الصين قد تخلت عنها في ١٢ فبراير ١٩١٢.

خضعت شرطة العاصمة للحكومة الجديدة . ونشر الجنرال شو، لاحقاً، مرسوم استعادة، زوّر فيه موافقة رئيس الجمهورية، لي يوان‌هونگ.

حرب الحماية الدستورية :

بدلاً من توحدها في دولة واحدة قوية، تفتتت الصين إلى دويلات صغيرة تحت وطأة حكم أباطرة الحرب لمدة عقد كامل، كما تم نفي صن يات-سن إلى مقاطعة گوانگ دونگ في أقصى الجنوب الشرقي من البلاد في الفترة الممتدة بين عامي ١٩١٧ و ١٩٢٠.

كما تعاقبت حكومات متنافسة فيما بينها على البلاد، إلى أن قام صن يات-سن بإعادة تأسيس الكومنتانگ مرة أخرى في أكتوبر من عام ١٩١٩ بمساعدة عناصر من الثوار البلاشفة الروس.

حركة الرابع من مايو :

وكافحت حكومة بي يانگ من أجل البقاء على رأس السلطة في بكين ودار الجدل في كافة أرجاء البلاد حول كيفية مواجهة الصين للغرب. وفي

عام ١٩١٩ قام مجموعة من الطلاب باعتراض شديد اللهجة حول ضعف موقف الصين وتهاونها في التعامل مع معاهدة فرساي، مما أدى إلى اندلاع حركة الرابع من مايو الأمر الذي أدى لنمو الشعور الوطني بضرورة الرجوع للنظام الجمهوري الدستوري.

وقد استمدت الجمهورية الصينية الأمور التنظيمية للحكم من الاشتراكية الثورية، وبعد قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ حققت الماركسية انتشارًا واسعًا في البلاد، وقام كلٌّ من لي داجاو وشين دوشوي بنشر الحركة الماركسية - اللينينية في البلاد.

عقد نانجينگ (١٩٢٨-١٩٣٧):

بمساعدة من ألمانيا، تطورت الصناعة والعسكرية الصينية قبل فترة وجيزة من الحرب على اليابان.

بعد وفاة صن يات-سن في مارس من عام ١٩٢٥ أصبح تشيانگ كاي-شك زعيمًا للكومنتانگ. وبعد تزعمه للحزب قام شيانج بحملة عسكرية ناجحة على أباطرة الحرب في شمال البلاد بمعاونة الاتحاد السوفيتي فيما بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ استطاع خلالها توحيد الصين مجددًا تحت راية الكومنتانگ.

وخلال تلك الحملة ومنذ اللحظات الأولى للإعداد لها، قام الخبراء السوفيت بتدريب العناصر العسكرية الصينية وتوفير الدعاية والتعبئة العامة والسلاح من أجل نجاحها.

إلا أن تشيانگ لم يحفظ الجميل للسوفيت، وقام بطرد الخبراء فور إحكام قبضته على زمام الأمور، وأقدم على طرد العناصر الشيوعية واليسارية من الكومنتانگ مما ألقى البلاد في أتون الحرب الأهلية.

وقام شيانگ بإجبار الشيوعيين على التراجع إلى داخل البلاد في محاولة منه للقضاء عليهم، وقام بتوطيد دعائم جمهوريته بإقامة حكومة وطنية في نانجينگ عام ١٩٢٧.

وقد حاولت حكومة شيانج النهوض بالبلاد في شتى المجالات، فقامت بإنشاء الأكاديمية الصينية للعلوم وأنشأت بنك الصين والعديد من المشروعات التنموية الأخرى. وفي عام ١٩٣٢ قامت الصين بإرسال أول بعثة رياضية للمشاركة في دورة الألعاب الأولمبية، وكانت البعثة مكوَّنة من رياضي واحد فقط، وهو لاعب القوى ليو شانغ شون الذي تم إرساله خوفًا من مشاركته لصالح اليابان.

الحرب الأهلية الصينية

حرباً أهلية استمرت من أغسطس ١٩٢٧ إلى مايو ١٩٥٠ وهي حرب أهلية قامت في الصين بين الكومنتانگ وبين الحزب الشيوعي الصيني، بدأت هذه الحرب بالتجريدة الشمالية.والحرب هي في الأساس بين القومية الصينية المدعومة من الغرب، وبين الفكرة الاشتراكية المدعومة من الاتحاد السوفيتي.

ويمكن عموماً تقسيم الحرب إلى مرحلتين؛ الأولى من ١٩٢٧ إلى ١٩٣٧، والثانية من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٠ وتفصل بينهما الحرب الصينية اليابانية الثانية. الحرب كانت نقطة تحول رئيسية في التاريخ الصيني الحديث، بسيطرة الحزب الشيوعي على كل بر الصين الرئيسي، مؤسساً جمهورية الصين الشعبية (PRC) لتحلّ محل جمهورية الصين التي يسيطر عليها الكومنتانگ. كما تسببت في مواجهة سياسية وعسكرية حتى اليوم بين جانبي مضيق تايوان، تقبع فيها جمهورية الصين في تايوان بينما ترتكز جمهورية الصين الشعبية في بر الصين الرئيسي، ويدَّعي كل منهما أنه الحكومة الشرعية لكل الصين.

مثّلت الحرب انشقاقاً أيديولوجيا بين الحزب الشيوعي ونموذج الوطنية الذي كان يروج له الكومنتانگ. وقد استمرت بتقطع حتى أواخر ١٩٣٧، حين اجتمع الحزبان ليشكلا الجبهة المتحدة الثانية لمواجهة التهديد الياباني ومنع البلد من الانهيار. استؤنفت الحرب الأهلية على نطاق شامل في ١٩٤٦، بعد عام من نهاية الأعمال العدائية مع اليابان.

وبعد أربع سنوات توقفت الأعمال العسكرية الرئيسية، مع سيطرة جمهورية الصين الشعبية الوليدة على بر الصين الرئيسي (بما في ذلك هاينان) وانكماش سيطرة جمهورية الصين إلى تايوان وپنگهو وكيمويو وماتسو وعدد من الجزر المتفرقة.

وحتى اليوم، لم يتم التوصل إلى هدنة أو معاهدة سلام بين الطرفين، ويوجد نقاش حول ما إذا كانت الحرب الأهلية قد انتهت قانونيًا العلاقات عبر المضيق يعوقها التهديدات العسكرية والضغوط السياسية والاقتصادية، خصوصاً حول الوضع السياسي لتايوان، مع تمسُّك الحكومتين رسميًّا بـ"سياسة الصين الواحدة ". فما زالت جمهورية الصين الشعبية تصر على أن تايوان هي جزء من أراضيها، وتواصل تهديد جمهورية الصين بالغزو العسكري إذ أعلنت جمهورية الصين رسميًّا الاستقلال بتغيير اسمها والحصول على اعتراف دولي كجمهورية تايوان.

وبالمثل فإن جمهورية الصين تطالب ببرّ الصين الرئيسي، وكلاهما يواصل التناحر على الاعتراف الدبلوماسي . واليوم فإن تلك الحرب تحدث على الجبهات السياسية والاقتصادية في شكل علاقات عبر المضيق بدون أفعال عسكرية؛ إلا أن الحكومتين في الصين احتفظتا بروابط اقتصادية وثيقة.

أسباب انتصار الشيوعيين :

يقول المؤرخ (أود أرني وستاد)أن الشيوعيين انتصروا في الحرب الأهلية لأنهم ارتكبوا أخطاءً عسكرية أقل من تشيانگ كاي-شك، ولأنه أيضاً في سعيه لحكومة مركزية قوية، فقد استثار تشيانگ الكثير من

جماعات المصالح في الصين. وبالإضافة لذلك، فإن حزبه أصابه الوهن في الحرب ضد اليابان، بينما الشيوعيون، استهدفوا الجماعات المختلفة، مثل الفلاحين، واجتذبوهم لصفهم.

كتب تشيانگ في يومياته في يونيو ١٩٤٨ أن الكومنتانگ فشل، ليس بسبب الأعداء الخارجيين، ولكن بسبب التسوس من الداخل.

- دعم الاتحاد السوڤيتي عمومًا قوات تشيانگ. إذ لم يثق ستالين في ماو، وحاول أن يمنعه من قيادة الحزب حتى ١٩٤٢، وكان يخشى أن ماو سوف يصبح قوة غريمة مستقلة في الشيوعية العالمية.
- الدعم الأمريكي القوي للوطنيين كان متخفيًا بفشل بعثة مارشال، ثم توقف تمامًا بسبب فساد الكومنتانگ مثل هيئة تنمية اليانگتزى التي كان يسيطر عليها هـ.هـ. كونگ وعائلة ت.ڤ.سونگ وبسبب الانتكاسات العسكرية للكومنتانگ في شمال شرق الصين.
- سياسة الإصلاح الزراعي الشيوعية وعدت الفلاحين الفقراء بأراضٍ زراعية من سادتهم، مما ضمن دعمًا شعبيًا لجيش التحرير الشعبي الأراضي لم تُعط أبداً للفلاحين.

الميزة الرئيسية للحزب الشيوعي الصيني كان "التماسك الفائق" داخل أعلى مستوى في القيادة. تلك الكفاءات لم تكن فقط بمأمن من الفرار الذي كان يتهددهم أثناء الأوقات العصيبة، ولكن أيضاً كانت مقرونة بـ "اتصالات ومداولات على أعلى مستوى حول التكتيك". وثمة نقطة إضافية

كبيرة، ألا وهي الأسلوب الكاريزمي لزعامة ماو زىدونگ التي خلقت "وحدة الهدف" و"وحدة القيادة" وهما ما افتقدهما الكومنتانگ بشكل كبير.

وبعيداً عن أن الحزب الشيوعي قد أتقن استغلال السياسة المحلية لصالحه، فقد نبع ذلك أيضاً من مهاراتهم في الپروپاگندا التي كانت لامركزية بشكل ناجح فبـ"تصوير خصومهم كأعداء لكل مجموعات الصينيين" وتصوير نفسهم كـ"حماة الأمة" والشعب (في ضوء الحرب ضد اليابان).

في الحرب الأهلية الصينية بعد ١٩٤٥، انهار اقتصاد مناطق جمهورية الصين بسبب التضخم الفائق وفشل حكومة جمهورية الصين في السيطرة على الأسعار، وفي تطبيق إصلاحات مالية؛ فانخفضت قيمة اليوان الذهبي بشكل حاد في أواخر ١٩٤٨ مما أسفر عن فقدان حكومة جمهورية الصين دعم الطبقة الوسطى في المدن. وفي تلك الأثناء، واصل الشيوعيون برامج الإصلاح الزراعي الدؤوب (وإعادة توزيع الأراضي) للفوز بدعم الجماهير في الريف.

أسرة تشينگ:

آخر الأسر الصينية الحاكمة، انهارت في ١٩١١ وسقطت أخيراً في ١٩١٢ بتنازل آخر إمبراطور، پويي سقطت الصين فيما عُرف باسم عهد أمراء الحرب، حين نشطت السيطرة على معظم البلد بين مجموعة من أمراء الحرب المستقلين الأقوياء، والقادة العسكريين الذين كان لكل منهم جيشه الخاص. حزب الكومنتانگ المناهض للملكية والتوحيدي الوطني لهزيمة أمراء الحرب، الذين سيطروا على معظم الصين الشمالية.

الحرب الصينية اليابانية الثانية (١٩٣٦–١٩٤٥)

ولم يعكر من صفو استقرار الأوضاع الداخلية للبلاد سوى الغزو الياباني لمنشوريا عام ١٩٣١ ثم اندلاع الحرب الصينية اليابانية الثانية كجزء من معارك الحرب العالمية الثانية في الفترة ما بين عامي ١٩٣٧ و١٩٤٥، وقامت الحكومة الصينية بالانسحاب ونقل مقرها من نانجينگ إلىتشونگتشينگ.

وفي عام ١٩٤٥ قامت القوات اليابانية الموجودة بالأراضي الصينية بالاستسلام غير المشروط للقوات الصينية، وأصبحت جمهورية الصين (تحت اسم الصين) عضوًا مؤسسًا لهيئة الأمم المتحدة، كما عادت الحكومة الصينية إلى مقرها السابق بنانجينگ.

وقد كان صراعًا عسكريًّا بين جمهورية الصين وإمبراطورية اليابان من ١٩٣٧ حتى ١٩٤١، حاربت الصين اليابان ببعض المساعدة الاقتصادية من ألمانيا (1937–1940) والولايات المتحدة، صارت تلك الحرب جزءاً من الصراع الأكبر، الحرب العالمية الثانية كجبهة رئيسية لِمَا عرُف عمومًا باسم حرب المحيط الهادي.

الحرب الصينية اليابانية الثانية كان أكبر حرب آسيوية في القرن العشرين، وقد تسببت تلك الحرب في أكثر من ٥٠% من الخسائر في حرب المحيط الهادي إذا أخذنا في الحسبان الفترة ١٩٣٧–١٩٤١.

بالرغم من أن البلدين كانا في قتال متقطع منذ ١٩٣١، إلا أن الحرب الشاملة قد بدأت عام ١٩٤٥. كانت الحرب نتيجة لعقود طويلة من

السياسة الإمبريالية اليابانية التي تهدف إلى الهيمنة السياسية والعسكرية على الصين وتأمين احتياطيات المواد الخام الهائلة والموارد الاقتصادية الأخرى، خاصة الغذاء والعمالة. في الوقت نفسه، المد المتصاعد للوطنية الصينية وتقرير المصير كان بمثابة شرارة لبدء الحرب.

قبل ١٩٣٧، دخلت الصين واليابان في اشتباكات محدودة على النطاق المحلي، اشتهرت "بالحوادث" حتى ذلك الوقت، ولمجموعة متنوعة من الأسباب، امتنع الجانبان عن خوض حرب شاملة عام ١٩٣١، الغزو الياباني لمنشوريا بواسطة جيش كوانتونگ تلته حادثة موكدن، كانت حادثة جسر ماركو پولو 1939 هي آخر تلك الحوادث، والتي تعتبر بداية للحرب الشاملة بين البلدين .

جمهورية الصين بعد الحرب العالمية الثانية

بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية تم تسليم جزيرة تايوان لقوات الحلفاء بعدما قبلت القوات الصينية استسلامًا غير مشروط من القوات اليابانية المرابضة بالجزيرة.

ومن ثمَّ طالبت الصين في 25أكتوبرعام 1945 بعودة تايوان إلى جمهورية الصين الأم الوريث الشرعي والوحيد لإمبراطورية تشينگ والتي كانت الجزيرة تحت حكمها.

وقد عارض مناصرو استقلال تايوان انضمامهم للصين معللين موقفهم بأن الانضمام جاء بدون توقيع اتفاقية سلام واضحة المعالم تحدد واجبات وتضمن حقوق الجميع.

وقامت جمهورية الصين بمدِّ نفوذها العسكري على تايوان مما أدى إلى نشر حالة من عدم الارتياح العام وزيادة التوتر بين التايوانيين والصينيين الأصليين (ساكني البر الصيني أو ما يُطلق عليه في بعض الأحيان بر الصين الرئيسي).

وقد أثار إلقاء القبض على أحد بائعي السجائر، وكذلك مقتل أحد المارة بطلق ناري من جانب القوات الصينية في 28 فبراير عام 1947 حفيظة أهل تايوان، مما أدى لنشوب العديد من التوترات الداخلية والاحتجاجات ضد وجود القوات الصينية، الأمر الذي دفع الصين لقمع هذه التظاهرات بالقوة العسكرية في حادثة تاريخية تُعرف الآن بواقعة ٢٢٨.

وقُدِّرت الخسائر البشرية المُعلنة من جهة السلطات الصينية نفسها بما يتراوح بين ١٨,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ شخص الغالبية العظمى المطلقة منهم من سكان تايوان، ومع استمرار حالة التوتر قامت السلطات الصينية بإعلان الأحكام العسكرية عام 1948 .

انتقال الحكومة لتايوان من عام ١٩٤٩

في سنة ١٩٤٩ اندلعت الحرب الأهلية والاشتباكات المسلحة مجددًا بين الحكومة الصينية والميليشيات العسكرية الشيوعية بصورة أكثر ضراوةً عن سابقاتها، وظهر الشيوعيون أكثر خبرة وأمهر تكتيكيًا. ومع بشائر العِقْد الخامس من القرن العشرين كانت جمهورية الصين قد فقدت سيطرتها على بر الصين الرئيسي وهنان مما دفع تشيانگ كاي-شك وأفراد حكومته إلى الفرار من نانجينگ إلى تايوان وإعلان تايپيْ عاصمة مؤقتة للبلاد.

وقام تشيانگ بنقل احتياطيات جمهورية الصين من الذهب معه إلى تايوان، كما تبعه قرابة ٢ مليون لاجئ لينضموا إلى ٦ ملايين آخرين من سكان تايوان. وفي هذه الأثناء قام ماو تسي تونگ بإعلان قيام جمهورية الصين الشعبية على أراضي بر الصين الرئيسي وأعلن نفسه رئيسًا للبلاد .

ومع وجود هذه التهديدات، سواء داخليًا بمطالبة تايوان بالاستقلال عن جمهورية الصين الأم والتهديدات من قِبَل الشيوعيين في بر الصين الرئيسي، انتهج نظام تشيانغ نهجًا ديكتاتوريًا في الوقت الذي ظلت فيه حكومة جمهورية الصين تُدار من بر الصين الرئيسي حتى عام ١٩٨٧ عندما ظهر ما يُعرف تاريخيًا بالفزع الأبيض لقمع أية معارضة سياسية في الجزيرة ضد نظام تشيانگ الحاكم، حيث تم إعدام واعتقال قرابة ١٤٠,٠٠٠ من سكان تايوان بتهمة مناهضة سياسات الكومنتانگ ومساندة الشيوعية.

في بداية الأمر ظنت الولايات المتحدة أن تايوان سوف تسقط في أيدي الشيوعيين مما دفعها للتخلي عن مساندة الكومنتانگ والانتظار حتى تتضح الأمور، ولكن مع اندلاع النزاع مجددًا بين الشقيقتين الكوريتين الشمالية والجنوبية، والذي نشأ منذ الانسحاب الياباني من شبه الجزيرة الكورية عام ١٩٤٥ وتصاعدت فيه حدة الاشتباكات لدرجة نشوب حرب كاملة.

ونظرًا للوضع الراهن في ذلك الوقت بشأن الحرب الباردة قرر الرئيس الأمريكي هاري ترومان التدخل في الأمر وإرسال الأسطول الأمريكي السابع لمضيق تايوان؛ وذلك لحماية الجزيرة ومنع الشيوعيين في بر الصين الرئيسي من بسْط سيطرتهم على الجزيرة

وفي الثامن والعشرين من إبريل سنة ١٩٥٢ دخلت معاهدة سان فرانسيسكو قيد التنفيذ، تبعتها في الخامس من أغسطس للعام نفسه معاهدة تاي‌پيْ والتي قضيتا باعتراف اليابان رسميًّا بتايوان كجمهورية الصين بعد أن أعلنت اليابان عدم اعترافها بأي معاهدة تم توقيعها مع جمهورية الصين قبل عام ١٩٤٢.

غير أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة قد اختلفتا فيما بينهما عن الوريث الشرعي لجمهورية الصين الأولى؛ هل هي جمهورية الصين (تايوان) أم جمهورية الصين الشعبية؟

مما أدى إلى تجميد المعاهدات بشأن الاعتراف بأحقية أي طرف في السيطرة على الجزيرة . ومع استمرار الحرب الأهلية الصينية طوال العقد

الخامس من القرن الماضي تدخلت الولايات المتحدة مرارًا للدفاع عن الجزيرة، ومن ثمّ تمّ توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين الولايات المتحدة وحكومة جمهورية الصين في تايوان في الثاني من ديسمبر لعام ١٩٤٥ واتفاقية فورموزا في التاسع والعشرين من يناير سنة ١٩٥٥.

التطور الاقتصادي:

وخلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٦٠ و١٩٧٠ شهدت جمهورية الصين ازدهارًا واسعًا وتحولت إلى دولة منتجة للتكنولوجيا بالرغم من كون نظام حكمها نظامًا أحادي الحزب؛ وفي هذه الأثناء حققت جمهورية الصين طفرة اقتصادية هائلة عُرفت تاريخيًّا فيما بعد باسم المعجزة التايوانية.

وأصبحت جمهورية الصين واحدة من النمور الآسيوية الأربعة نتيجة انتهاج الحكومة نظامًا ماليًّا مستقلاً عن النظام المالي الذي تتبعه جمهورية الصين الشعبية والمعونات الخارجية للبلاد ودعم الولايات المتحدة للمنتجات التايوانية.

انتكاسات دبلوماسية:

قرار الأمم المتحدة رقم ٢٧٥٨ والذي قضى بأحقية جمهورية الصين الشعبية في مقعد الصين وطرد تايوان من الهيئة وجميع مؤسساتها.

نتيجة للحرب الباردة اعترفت الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية الأخرى بجمهورية الصين كممثل شرعيّ وحيد لجمهورية الصين الأولى، وعدم شرعية حكومة جمهورية الصين الشعبية حتى عام ١٩٧١

حيث قررت الولايات المتحدة انتهاج سياسة انفراجية في علاقتها مع جمهورية الصين الشعبية أدت إلى صدور قرار الأمم المتحدة رقم ٢٧٥٨ لسنة ١٩٧١ والذي قضى بأحقية جمهورية الصين الشعبية في مقعد جمهورية الصين الأولى وطرد جمهورية الصين (تايوان) من مجلس الأمن وإعطاء مقعدها لجمهورية الصين الشعبية رغم المعارضة الأمريكية الشديدة للقرار.

وفي عام ١٩٧٢ بدأ عهد الانتخابات التشريعية لأول مرة في البلاد. وفي عام ١٩٧٥ توفي تشيانگ وخلفه ابنه في الرئاسة بعد ذلك بثلاثة أعوام والذي احتفظ بالسيطرة الكاملة على البلاد. وفي عام ١٩٧٩ قامت الولايات المتحدة بقطع كل العلاقات الدبلوماسية مع تايوان وإلغاء اتفاقية الدفاع المشترك بينهما.

انتقال السلطة:

واتجهت جمهورية الصين تدريجيًا نحو الديمقراطية خلال العقد الثامن من القرن العشرين، حيث سمح الرئيس تشيانگ تشنگ كوو، ابن الرئيس الراحل تشيانگ كاي-شك، بإنشاء أحزاب جديدة وتبعه في ذلك الرئيس لي تينگ هوي مما ساعد على نشأة أول أحزاب المعارضة، وهو الحزب الديمقراطي التقدمي.

وفي عام ١٩٨٧ تم رفع العمل بالأحكام العسكرية تبعه بعد ذلك قانون برفع الحظر عن إنشاء الصحف. وفي إبريل من عام ١٩٩٣ تم توقيع اتفاقية للتعاون الاقتصادي مع جمهورية الصين الشعبية.

وفي ديسمبر من عام ١٩٩٤ أقيمت انتخابات محلية فاز فيها مرشح الحزب الديمقراطي التقدمي المعارض بمنصب عمدة تايپِيْ، بينما فاز مرشح الكومنتانگ بمنصب عمدة كواسي يونگ ثاني أكبر المدن بجمهورية الصين. وأدى انتهاج الحكومة للسبل الديمقراطية إلى إقامة أول انتخابات رئاسية عن طريق الاقتراع المباشر عام ١٩٩٦.

الاقتصاد فى حضارة الصين

المتاجر :

وازدهرت الصناعة في تلك الأيام ازدهاراً لم يُر له مثيل في كافة أنحاء الأرض قبل القرن الثامن عشر. فمهما تتبعنا تاريخ الصين إلى ماضيه السحيق وجدنا الحرف اليدوية منتشرة في البيوت والتجارة رائجة في المدن.

وكانت أهم الصناعات الأساسية هي صناعة النسيج وتربية دود القز لاستخراج خيوط الحرير، وكانت كلتا الحرفتين تقوم بها النساء في أكواخهن أو بالقرب منها. وكان غزْل الحرير من الحِرف القديمة في البلاد وترجع بدايتها في الصين إلى الألفي السنة السابقة لميلاد المسيح.

وكان الصينيون يطعمون الدود ورق التوت الحديث التقطيع ويحصلون من تربيته على نتائج عجيبة، ولعل القارئ لا يصدق إذا قيل له إن رطلاً من الديدان (أي ٧٠٠,٠٠٠ دودة) يتغذى على هذا الورق كان يتضاعف إلى ٩,٥٠٠ رطل في اثنين وأربعين يوماً.

وكانت الديدان الكبار تُوضع بعدئذ في خيام صغيرة من القش تنسج حولها شرانقها بما تفرزه من الحرير، فإذا أتمت عملها أخذت الشرانق وألقيت في ماء ساخن، فخرج الحرير من القالب الذي لُفَّ عليه وعالجوه ونسجوه وصنعوا منه أنواعاً عدة من الثياب والأقمشة المزركشة والمطرزة والأنسجة المُشجرة التي كانت تُصنع منها ملابس الطبقات العليا في العالم كله.

لم يكن من غير المألوف عند المضيف إذا جاءه ضيوفٌ أن يمر عليهم بنسيج رقيق من الحرير يعرضه عليهم كما يعرض عليهم غيره آنية من الخزف، أو يبسط أمامهم ملفاً من الصور أو من الخط الجميل، أما مَنْ ينتجون الحرير وينسجونه فكانوا يتخذون ثيابهم من القطن.

وكانت هذه الصناعة المنزلية تُكمل بحوانيت في المدن، حتى في القرون السابقة لميلاد المسيح، ولذلك وُجدت من بداية القرن الثالث قبل الميلاد جماعات من العمال في المدن نظمت هي والمشرفون عليها في طوائف من أرباب الحرف. وكان نمو هذه الصناعة في الحوانيت سبباً في ازدحام المدن بالسكان العاملين المُجدِّين الذين جعلوا الصين في أيام كوبلاي خان تضارع من الوجهة الصناعية أوربا في القرن الثامن عشر بعد الميلاد.

وقد كتب ماركو بولو في ذلك، يقول:

" لكل حرفة من الحِرَف مائة متجر يهيئ كل واحد منها العمل لعشرة أو خمسة عشر أو عشرين من الصُّناع، وقد يصل هذا العدد في بعض الصناعات إلى أربعين، والسادة الأغنياء أصحاب الحوانيت لا يعملون بأيديهم، بل يتظاهرون بالرقة والتسامي والتأنق في حديثهم وحركاتهم".

وكانت هذه النقابات تعمل ما تعمله الصناعات المنظمة في هذه الأيام، فتحدد التنافس وتنظم الأجور وساعات العمل؛ وكان الكثير منها يحدد الإنتاج ليحتفظ بمستوى أسعار منتجاته، ولعل رضاها بأساليبها القديمة واطمئنانها إليها كانا من أسباب تأخر العلوم في الصين ومقاومة

الانقلاب الصناعي في تلك البلاد مقاومة دامتْ حتى أخذت كلُّ الحواجز والأنظمة في هذه الأيام تنهار أمام طوفان الصناعة الأوربية الجارف.

وكانت النقابات في الصين تضطلع بكثير من الواجبات التي عهد بها السكان الغربيون المتكبرون إلى الدولة ! فكانت هذه النقابات تسنُّ قوانينها بنفسها وتعدِّل في تنفيذها، وقد قللت من الإضراب بما كانت تقوم به من تسوية النزاع بين العمال وأصحاب الأعمال بطرق التحكيم على يد لجان الوسطاء التي يمثل فيها كلا الطرفين بالتساوي.

وكانت هذه النقابات بوجه عام هيئات صناعية تحكم نفسها وتنظم شئونها، وكانت مخرجًا يدعو إلى الإعجاب من التذبذب الحادث في هذه الأيام بين مبدأي التخلي وترك الأمور تجري في مجراها وبين سيطرة الدولة على جميع الشئون.

ولم تكن النقابات مقصورة على التجار والصناع وعمالهم، بل كانت هناك نقابات لطوائف أقلّ من هؤلاء شأناً كالحلاقين والحمالين والطباخين، بل إن المتسولين كانت لهم هيئة تفرض على أعضائها قوانين صارمة. وكانت أقلية ضئيلة من عمال المدن من الأرقاء يُستخدم معظمهم في الأعمال المنزلية ويبقون تحت سلطان سادتهم عدة سنين أو طول الحياة، وكان اليتامى والبنات يُعرضون للبيع في أيام القحط ويُباعون بعدد قليل من "الكاشات"، وكان من حق الأب في كل وقت أن يبيع بناته أو عبيده.

على أن هذا الاسترقاق لم يبلغ في يوم من الأيام ما بلغه في بلاد اليونان أو الرومان، وكانت كثرة العمال من أعضاء النقابات أو الوكلاء

الأحرار- كما كانت كثرة الزراع من ملاّك الأراضي- يحكمون أنفسهم في هيئات قروية مستقلة في معظم شئونها عن إشراف الدولة.

وكانت منتجات العمل تُنقل على ظهور الناس، بل إن الناس أنفسهم كان معظمهم يُنقلون في الهُدج فوق أكتاف الحمالين المكدودة المتصلبة، ولم يكن هؤلاء يشكون من عملهم أو يتضجرون منه، وكانت الدلاء الثقيلة أو الحزم الضخمة تُعلق في طرف قوائم خشبية تُحمل على الكتفين.

وكانت عربات النقل تجرُّها الحمير أحياناً، ولكنها في أكثر الأحيان كان يجرُّها الرجال. ذلك أن عضلات الآدميين قد بلغت من الرخص حدًّا لا يشجع على رقيّ النقل الحيواني أو الآلي، كما كانت حال النقل البدائية غير حافزة على إصلاح الطرق وتعبيدها.

أُنشئت في أيام كوبلاي خان طرق عامة رُصفت بالحجارة، ولكنها لم يبق منها الآن إلا جوانبها. أما شوارع المدن فلم تكن سوى أزقة لا يزيد عرضها على ثماني أقدام صُممت لكي تحجب الشمس، وكانت القناطر كثيرة العدد جميلة في بعض الأحيان، ومن أمثلتها القنطرة الرخامية التي كانت عند القصر الصيفي، وكان التجار والمسافرون يستخدمون الطرق المائية بقدر ما كانوا يستخدمون الطرق البرية.

وكان في البلاد قنوات مائية يبلغ طولها ٢٥,٠٠٠ ميل، ولم يكن في الأعمال الهندسية الصينية ما يفوق القناة الكبرى التي تربط هانجتشاو بتيانشين والتي يبلغ طولها ٦٥٠ ميلاً، والتي بُدئ في حفرها سنة ٣٠٠م

وتم في عهد كوبلاي خان، لم يكن يفوقها إلا السور العظيم. وكانت القوارب المختلفة الأشكال والأحجام لا ينقطع غُدوها ورواحها في الأنهار، ولم تكن تُتخذ وسائل للنقل الرخيص فحسب، بل كانت تُتخذ كذلك مساكن للملايين من الأهلين الفقراء.

والصينيون تجار بطبعهم، وهم يقضون عدة ساعات في المساومات التجارية، وكان الفلاسفة الصينيون والموظفون الصينيون متفقين على احتقار التجار، وقد فرض عليهم أباطرة أسرة هان ضرائب فادحة وحرموا عليهم الانتقال بالعربات ولبس الحرير.

وكان أفراد الطبقات الراقية يطيلون أظافرهم ليدلوا بعملهم هذا على أنهم لا يقومون بأعمال جثمانية، كما تطيل النساء الغربيات أظافر أيديهن لهذا الغرض عينه، وقد جرت العادة أن يعد العلماء والمدرسون والموظفون من الطبقات الراقية، وتليهم في هذا طبقة الزراع، ويأتي الصناع في المرتبة الثالثة، وكانت أوطأ الطبقات طبقة التجار لأن هذه الطبقة الأخيرة- على حد قول الصينيين- لا تجني الأرباح إلا بتبادل منتجات غيرها من الناس.

لكن التجار مع ذلك آثروا ونقلوا غلاّت حقول الصين وسلع متاجرها إلى جميع أطراف آسيا، وصاروا في آخر الأمر الدعامة المالية للحكومة الصينية. وكانت التجارة الداخلية تعرقلها الضرائب الفادحة، وأما التجارة الخارجية فكانت معرضة لهجمات قُطّاع الطريق في البر والقرصان في البحر.

ومع هذا فقد استطاع التجار الصينيون أن ينقلوا بضائعهم إلى الهند وفارس وبلاد النهرين وروما نفسها في آخر الأمر بالطواف حول شبه جزيرة الملايو بحراً وبالسير في طرق القوافل التي تخترق التركستان.

وكانت أشهر الصادرات هي الحرير والشاي والخوخ والمشمش والبارود وورق اللعب، وكان العالم يرسل إلى الصين بدل هذه الغلات والبضائع الفِصْفِصَة والزجاج والجزر والفول السوداني والدخان والأفيون.

وكان من أسباب تيسير التبادل التجاري نظام الائتمان والنقود. فقد كان التجار يقرض بعضهم بعضاً بفوائد عالية تبلغ في العادة نحو ٣٦%، ونقول إنها عالية وإن لم تكن أعلى مما كانت في بلاد اليونان والرومان. وكان من أسباب ارتفاع سعر الفائدة ما يتعرض له المرابون من أخطار شديدة، فكانوا من أجل ذلك يتقاضون من الأرباح ما يتناسب مع هذه الأخطار، ولم يكن أحد يحبهم إلا في مواسم الاستدانة.

ومن الحكم الصينية المأثورة قولهم: "السارقون بالجملة ينشئون المصارف" وأقدم ما عرف من النقود ما كان يتخذ من الأصداف البحرية والمدي والحرير.

ويقول ماركو بولو عن خزائن كوبلاي خان: "إن دار السك الإمبراطورية تقوم في مدينة كمبلوك (پكين)، وأنت إذا شاهدت الطريقة التي تصدر بها النقود قلت إن فن الكيمياء أتقن أتقاناً لا إتقان بعده، وكنت صادقاً فيما تقول.

ذلك أنه يصنع نقوده بالطريقة الآتية"، ثم أخذ يستثير سخرية مواطنيه وتشككهم فيما يقول وعدم تصديقهم إياه فوصف الطريقة التي يؤخذ بها لحاء شجر التوت فتصنع منه قطع من الورق يقبلها الشعب ويعدها في مقام الذهب. ذلك هو منشأ السيل الجارف من النقود الورقية الذي أخذ من ذلك الحين يدفع عجلة الحياة الاقتصادية في العالم مسرعة تارة ويهدد هذه الحياة بالخراب تارة أخرى.

الاختراعات والعلوم فى الحضارة الصينية

لقد كان الصينيون أقدر على الاختراع منهم على الانتفاع بما يخترعون. فقد اخترعوا البارود في أيام أسرة تانج، ولكنهم قصروا استعماله وقتئذ على الألعاب النارية، وكانوا في ذلك جد عقلاء؛ ولم يستخدموه في صنع القنابل اليدوية وفي الحروب إلا في عهد أسرة سونج (عام ١١٦١م).

وعرف العرب ملح البارود (نترات البوتاسيوم)- وهو أهم مركبات البارود- في أثناء اتجارهم مع الصين وسموه "الثلج الصيني" ونقلوا سر صناعة البارود إلى البلاد الغربية، واستخدمه العرب في أسبانيا في الأغراض الحربية.

ولعل سير روجر بيكون أول من ذكره من الأوربيين قد عرفه من دراسته لعلوم العرب أو من اتصاله بده- برو كي الرحالة الذي طاف في أواسط آسية.

والبوصلة البحرية أقدم عهداً من البارود. وإذا جازفنا أن نصدق ما يقوله عنها المؤرخون الصينيون فإن دوق جو قد اخترعها في عهد الإمبراطور تشنج وانج (١١١٥-١٠٧٨ ق.م.) ليهتدي بها بعض السفراء الأجانب في عودتهم إلى بلادهم. ويقول الرواة: إن الدوق أهدى إلى السفارة خمس عربات جُهِّزت كل منها "بإبرة تشير إلى الجنوب".

وأكبر الظن أن الصينيين الأقدمين كانوا يعرفون ما لحجر المغنطيس من خواص مغنطيسية، ولكن استعماله كان مقصوراً على تحديد

الاتجاهات في بناء الهياكل. وقد ورد وصف الإبرة المغنطيسية في السونج- شو وهو كتاب تاريخي مؤلف في القرن الخامس الميلادي. ويقول المؤلف: إن مخترعها هو الفلكي جانج هنج (المتوفى في عام ١٣٩م)، على أن هذا العالِم لم يفعل أكثر من أن يكشف من جديد ما كانت الصين تعرفه قبل أيامه.

وأقدم ما ورد عن الإبرة من حيث فائدتها للملاحين هو ما جاء في كتاب أُلّف في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، وهو يعزو استخدامها في هذا الغرض إلى البحارة الأجانب- وأكبر الظن أنهم من العرب- الذين كانوا يُسيّرون سفنهم بين سومطرة وكانتون. وأول إشارة معروفة لنا عن البوصلة في أقوال الأوربيين هي ما ذكر عنها في قصيدة لجنيو ده بروفن.

على أننا لا نستطيع أن نصف الصينيين بأنهم من الأمم النشيطة في ميدان الاختراعات الصناعية رغم اختراعهم البوصلة والبارود والطباعة والخزف. لقد كانوا مخترعين في الفنون، وقد ارتقوا بها في صورها التي ابتدعوها حتى بلغت درجة من الكمال لا نظير لها في غير بلادهم أو في تاريخهم.

ولكنهم ظلوا حتى عام ١٩١٢م قانعين بالجري على طرقهم الاقتصادية القديمة، يحتقرون الأساليب والحيل التي تغني عن العمل الشاق، وتضاعف ثمار الجهود البشرية، وتعطل نصف سكان العالم لتزيد من ثراء النصف الآخر، كأنهم في احتقارهم هذا كانوا يتنبئون بما تجره هذه الاختراعات على البشر من شرور.

وكان الصينيون من أوائل الأمم التي اتخذت الفحم وقوداً واستخرجوه من الأرض بكميات قليلة منذ عام ١٢٢ ق.م ، ولكنهم لم يخترعوا آلات تريحهم من كدح استخراجه، وتركوا معظم ما تخبئه أرضهم من الثروة المعدنية دون أن يستغلوها.

ومع أنهم عرفوا كيف يصنعون الزجاج فقد رضوا أن يستوردوه من الغرب، ولم يصنعوا ساعات للجيب أو للحائط، ولم يخترعوا المسامير المحواة، بل إنهم لم يصنعوا من المسامير العادية إلا أغلظها.

وقد ظلت حياة الصين الصناعية في أهم نواحيها على حالها لم تتغير كثيراً خلال الألفي العام التي بين قيام أسرة هان وسقوط المنشو– شأنها في هذا شأن الحياة الصناعية في أوربا من أيام بركليز إلى عهد الانقلاب الصناعي.

كذلك كانت الصين تفضل سلطان التقاليد والعلماء على سلطان العلم والمال المثير للأعصاب، ولذلك كانت الحضارة الصينية أفقر الحضارات العظمى فيما أفادته منها فنون الحياة المادية. فقد أخرجت هذه الحضارة كتباً من أرقى الكتب الدراسية في الزراعة وفي تربية دود القز قبل ميلاد المسيح بقرنين كاملين وألفت رسالات قيمة في علم تقويم البلدان.

التربية والتعليم فى الحضارة الصينية

لا شك أننا نستفيد من كل حضارة من الحضارات، على الرغم من عدم تقاربها الديني، واختلافها اختلافًا كليًّا في بعضها عن التربية الإسلامية وعن الدين الإسلامي؛ إلا أننا نستفيد منها ما يتفق مع الإسلام ومع الدين، فنحن لا نأخذ أمورًا لا تتفق مع الدين؛ لأن الدين الإسلامي هو الأساس، وهو المحرك لعقيدتنا وسلوكنا.

ولعل الحضارة الصينية من أبرز الحضارات عهدًا بالتربية، وأشهرها ذكرًا في التاريخ، فكان الصينيون يميلون إلى التأمل الميتافيزيقي، والبحث عن الحكمة الدينية؛ لذلك نجد المذاهب الفلسفية –مثل: الطاوية، والكونفوشيوسية– لعبت دورًا كبيرًا في تشكيل الرؤى المعرفية، والآداب الاجتماعية في حياة الصينيين منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى العصر الحديث، وهو الأمر الذي يثير الاستغراب.

ويقع هذا الشعب العريق في أقصى الشرق، ويعطي خصوصيات ثقافية وتاريخية لا يمكن تجاهلها إذا أراد الباحث سَبْر غوْر جذور تطور الفكر هناك، ولا يمنع هذا من الاعتراف بسبق الحضارة الصينية في علوم كثيرة، منها الطب، فما زالت الإبر الصينية وسيلة من وسائل العلاج في أقطار العالم، إلى جانب العلاج بالعقاقير والجراحة.

والصينيون منذ القدم اشتُهروا بالجد والمثابرة، والعمل الدءوب دون كَلَل أو مَلَل، وإجمالًا يمكن القول: إن للصين تاريخًا موغلًا في القِدم، ولها

تربية شرقية عريقة تتسم بالصرامة في حفظ العادات، والتمسك بالتقاليد، وتقدير الماضي، وتقديس أرواح الأجداد.

والعمل الاجتماعي صبغة كونفوشيوسية قد تقلل من الإبداع الفردي، لكن أثبتت جدواها؛ فإن اليابان تنتهج منهجًا تعليميًّا يُعلي من شأن الجماعة لا الفرد، وبلغت مرتبة تكنولوجية لا تقل عن الغرب القائم على النزعة الفردية المادية.

وركزت التربية الصينية على ضرورة عقد الاختبارات للطلاب، وعلى أهمية حفظ المعلومات، ولم تنسَ فلسفة التربية الصينية أن تؤكد على الروحانيات، وفي الجانب الأخلاقي فإنها اهتمت بإلزام المتعلم بالقوانين والتشريعات.

وكان هناك اعتناء بالتربية المهنية للعمل في المجتمع، ونظام التعليم يشترط اجتياز اختبارات تثبت تمكُّن الطالب والمتعلم من فَهْم وحفظ المناهج، ولقد اعتنى الصينيون بشكل خاص بعلم الكيمياء، فهناك صلة مباشرة بين حبهم لعلم الكيمياء وارتباطهم بالقيم الروحية.

إذ كان هدفهم من دراسة الكيمياء اكتشاف سر البقاء، فكرّسوا جهودهم في البحث عن مادة تهب لحياتهم الخلود، على أن هذا الاهتمام المتواصل قادهم إلى دراسة النباتات، فكتبوا عن فوائد الثوم والأعشاب.

لا يمكن فَهْم الخلفية النظرية للصين من غير التعرف على رواد الحركة الدينية، ومنهم: وُلد لوتس مؤسس الطاوية في القرن السادس قبل الميلاد تقريبًا، وله ثمة إصلاحات جمة بالنسبة للصينيين، منها: أن فكره

الإصلاحي ظل قرابة ألفي سنة من ركائز الفكر الفلسفي والاجتماعي في الصين، ولوتس -أي المعلم الكبير- اهتم بالروحانيات، وبالصحة البدنية من أجل طول العمر؛ فأكد على أهمية اختيار الطعام المفيد.

رفض لوتس تدوين أقواله؛ لأنها لن تحقق الكثير من النفع، ولكن أنصاره جمعوا عباراته في كتاب اسمه: (تيوتوشنك)، وهو بالنسبة لهم مجموعة أقوال ترسم المنهج الكامل للحياة القويمة، حيث يعيش الإنسان مع غيره بالحب، لا بالعنف، ويرى لوتس أن منْ لا يُعمِل عقله لا يشعر بالمشكلات، وكتاب لوتس من أكبر الكتب انتشارًا في العالم.

ومن الملاحظ أن آدابهم الفلسفية تقوم على الالتزام بسلسلة من التعاليم التي صِيغت على نمط حِكَم إنسانية، تجعل طقوسهم الدينية ذات غاية تهذيبية للروح، فيكون الاتصال بالخالق مرحلة من مراحل الاتحاد والخلود كما يؤمنون، وهذا يعني أن الحركات الدينية أدَّت دورًا كبيرًا في تحديد قسمات الثقافة الصينية.

لقد قامت الحركة الطاوية -مثلًا- باستخدام وسائل متنوعة في تربية الناس، منها: تأليف الكتب لنشْر تعاليمهم، وتدوين الآراء الدينية والفلسفية والسياسية خاصة في القرن الثالث قبل الميلاد، ولم تركز التعاليم على العمل الصالح بقدر ما كانت تركز على حالة التفاعل والانسجام مع البيئة، وهو الأمر الكفيل بإعداد الإنسان للأخلاق الفاضلة.

كان التعليم اليومي للأطفال في المدارس يبدأ باكرًا، وقد يستمر إلى العصر أو حتى الغروب، وتُعتبر اللغة الصينية ذات تفصيلات كثيرة في

رموزها وحروفها، وتستلزم وقتًا طويلًا لمعرفتها؛ الأمر الذي يتطلب المزيد من الجهد، ففي الصين واليابان إلى الآن يركزون على دراسة اللغة الصينية، ويتعلم الطالب مئات الرموز ليستطيع أن يقرأ الجريدة.

والفيلسوف الحكيم كونفشيوس هو المعلم التربوي الذي استمر فكره، واستقر سحره في أعماق الفكر التربوي الصيني؛ حتى أطلق عليه لقب "أعظم معلم صيني". أدى هذا الفيلسوف دورًا مهمًّا في رعاية الفقراء، وحاول أن يقوم بالإصلاحات الحكومية والإدارية التي من شأنها أن تُسعد المحتاجين والمساكين.

ولقد قام طلابه بتدوين تعاليمه بعد وفاته، ولعل طفولته المحرومة كولد يتيم في المجتمع جعلته يُشفق على المساكين، ويكوّن فلسفته الإصلاحية في رعايتهم.

بدأ رحلته الفكرية مع أستاذه الفيلسوف "لوتس" الذي أنشأ الطاوية، لكنه سرعان ما اختلف معه وانفصل عنه.

قامت الحركة الكونفوشيوسية باستخدام عدة وسائل للتنشئة الاجتماعية؛ منها: تسخير المناصب السياسية لأغراضهم، والاعتناء بمهارة مطالعة الكتب ودراسة اللغة والأدب والموسيقى، وغرْس فكرة تقديس الأرواح لتهذيب النفس.

والآداب الاجتماعية والسياسية والأخلاقية للحاكم والمحكوم من الوسائل التربوية المؤثرة في عمليتهم الإصلاحية، فالأخلاق هي الأمر الأساس الذي تدعو إليه الكونفوشيوسية، وهي محور الفلسفة وأساس

الدين، وهي تسعى إلى تربية الوازع الداخلي لدى الفرد؛ ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية، مما يُخضعها للقوانين الاجتماعية والقانونية بشكل تلقائي.

ولم يدَّع كونفوشيوس أنه نبي يُوحى إليه؛ فقد كان مصلحًا أكثر منه رجل دين، احترم -كما يزعمون- الآلهة، وحرص على إقامة الشعائر والطقوس، وكانت عنايته متجهة إلى إصلاح النفس الإنسانية، وتكوين مجتمع سليم قوامه المحبة والإخاء والعدل، ويرتكز القانون الأخلاقي عنده على أربع فضائل أساسية، هي:

١- وجوب طاعة الوالد، والخضوع له.

٢- وجوب طاعة الحاكم، والانقياد له.

٣- على الأخ الأصغر أنْ يطيع أخاه الأكبر.

٤- على الأصدقاء أن يخلصوا في معاملة بعضهم بعضًا.

وهذه الفضائل في نظر الكونفوشيوسيين خالدة، ويجب على كل فرد في المجتمع أن يتحلى بها باستمرار؛ لأن الاستمرار في التحلي بالفضيلة هو نفسه جزء لا يتجزأ من الفضيلة.

والتعليم عندهم من أهم العوامل، التي تجعل الأفراد يفهمون القانون الأخلاقي ويسيرون عليه؛ ولذا يجب أن يتعلم الأفراد آراء القدماء وحِكَمهم، وما ورد عنهم من قصص، وعليهم كذلك أن يطلعوا على مؤلفات الكونفوشيوسيين؛ حتى يلموا إلمامًا جيدًا بآرائهم العامة.

كان الأرستقراطيون يحتكرون التعليم، فلا يتعلم إلا أبناؤهم؛ حتى جاء كونفوشيوس وطبّق فكرة التعليم الخاص، وكان أول معلم يفتح مدرسة خاصة في تاريخ الصين، لم يهمه الأصل العائلي لتلاميذه، وأعدّ أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ، وزاد عدد المتفوقين منهم على السبعين.

والباحث الغربي المتخصص في التربية المقارنة، يجد أن الفلسفة التربوية عند الكونفوشيوسيين، أو عند كونفوشيوس، على وجه الخصوص، تقوم على دعامتين، هما: حب العلم، والتمسك بفضائل الأخلاق.

ومن عبارات كونفوشيوس المليئة بالحكمة قوله: "لتكن العدالة جزاء الإساءة، وليكُن الإحسان جزاء الإحسان".

وقبل كتابة الإنجيل، وقبل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم بخمسة قرون، ظهرت القاعدة الذهبية في الصين لتنص على أن: الفضيلة الكاملة ألاَّ تفعل بغيرك، ما لا تحب أن يُفعل بك.

وتتميز توجيهات كونفوشيوس بالإيجاز والتركيز على البُعد الأخلاقي، يقول في موعظته: "يضع الرجل الأعلى نُصْب عينيه تسعة أمور، لا ينفك يُقلبها في فكره؛ فأما من حيث عينيه فهو يحرص على أن يرى بوضوح، وأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشًا ظريفًا، وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقورًا.

وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصًا، وفي تصريف شئون عمله يحرص على أن يبذل فيه عنايته، وأن يبعث الاحترام فيمَنْ معه،

وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس، وإذا غضب فكر فيما قد يجرّه عليه غضبه من الصعاب، وإذا لاحت له المكاسب فكّر في العدالة والاستقامة".

ومن روائعه: "إذا اختبرتُ نفسي فوجدتني على خطأ؛ وجدتني عاجزًا حتى عن مواجهة الضعيف، وإذا اختبرت نفسي فوجدتني على حق؛ وجدتني قادرًا على مواجهة الألوف".

عرف الصينيون القدماء علومًا كثيرة، منها: علم الهندسة، واخترعوا العربات والسهام والنقود، كما أن النساء اكتشفن تربية دود القز، واهتموا بالكتب حتى قيل: إن أقدم كتاب في العالم اليوم صيني، وفي السياسة تفنن أحد حكامهم في تطبيق العدل؛ فوضع على باب قصره لوحة معروضة لكل منْ شاء أن يكتب عليها حاجته، ثم يدق جرسًا بجانبها، فيأتي الملك بنفسه ليرى ما كتب ويقضي فيه.

ومن الحِكَم الصينية في تربية النفس والجسم قول شنغ شانغ: "إذا أردت أن تكون دائمًا أحسن من ذي قبل؛ فطهر نفسك كل يوم، طهر نفسك كل يوم، طهر نفسك كل يوم".

من العبارات السابقة، وغيرها يمكن استنباط سمات التربية الصينية في النقاط التالية:

- اهتم الفكر الصيني بربط الذات بالمجتمع.
- العمل الجماعي القائم على الولاء والطاعة من دعائم الفلسفة التربوية الصينية.

- التربية الأخلاقية لاقت اهتمامًا بالغًا في العصور القديمة.
- وضوح الرؤية والابتسامة، والوقار، والإخلاص، والإحسان في العمل، واحترام الآخرين، والاستفادة من علم الآخرين، وكظم الغيظ، والعدل، والاستقامة في التصرف – من أهم سمات الشخصية الناجحة في رأي كونفوشيوس.
- الإيمان بالتربية المستمرة، كقول كونفوشيوس: "يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور..."، وهذا قد تحدثنا عنه؛ فهذا يدل على أن التربية عملية مستمرة لا تنتهي.
- ساهمت العبارة الموجزة كوسيلة تعليمية، في خلود الآراء التربوية في الفكر الصيني.
- حظيت الحكمة باهتمام كبير كوسيلة لتربية المجتمع، وهي ثمرة التأمل الفردي والولاء للجماعة.
- التربية عبْر غرْس المبادئ جوهرُ التربية العقلية، والنفسية، والاجتماعية، والبدنية.
- إن التربية الصينية ركزت على تراث السابقين؛ مما جعل الهدف الرئيسي للتربية هو نقل التراث والحفاظ عليه، ولم تكن فكرة تجديد التراث أو تمحيص بعض نصوصه، والإضافة إليه التوجهَ الظاهرَ في تاريخ التربية الصينية؛ فهي تربية ذات مقاصد تقليدية محافظة، لها اعتناء فائق بالروحانيات، وترهق المتعلم بحفظ المعلومات، وتصقله بالاختبارات، وتربيه على تقديس الماضي ورموزه، وأن الانسجام مع الطبيعة غاية الارتقاء الروحي.

الطب فى الحضارة الصينية

يعتبر أحد أنواع الطب البديل ومنتشر في كافة أنحاء العالم، يشتمل على ممارسات الطب التقليدي التي أصلها من الصين والتي تطورت عبر آلاف السنين. يتضمن الطب الصيني عدة نظريات، تشخيصات ومعالجات كالعلاج بالأعشاب، الإبر الصينية والتدليك، الطب الصيني هو أحد أشكال ما يسمى بالطب الشرقي والذي يتضمن بعض الممارسات الأخرى التقليدية لشرق آسيا كالطب التقليدي الياباني والكوري.

الطب الصيني التقليدي:

يعتمد الطب الصيني على النماذج العلمية التي تطورت على مدى آلاف السنين. اليوم، أصبح من الصعب التوفيق بين المفاهيم الطبية التقليدية الصينية والمعارف الطبية المعاصرة. ولكنها لا تزال تلعب دورًا هامًّا في تقييم المرضى وصياغة شكل العلاج بالوخز بالإبر. ذلك وفقًا لما ذكرته المعاهد الوطنية للصحة.

هذه النظرية تقدم التوضيح الآتي للوخز بالإبر:

الصحة هي حالة من التوازن بين يين ويانغ داخل الجسم. وقد قارن البعض بين يين ويانغ وكل من الجهاز العصبي السمبثاوي والجهاز العصبي الباراسمبثاوى. إن التدفق الحر للتشى له أهمية خاصة في الوخز بالإبر. من الصعب ترجمة مفهوم من الفلسفة الصينية لكنه عادة ما يُترجم إلى "الطاقة حيوية ". يعبر 'تشى' عن غير المادى ومن ثمَّ يسمى 'يانغ' ويعبر 'ين' عن المادية مثل الدم (يكتب في الإنجليزية بالأحرف

الكبيرة لتمييزه عن الدم من الناحية الفسيولوجية وكل مايشابهه). ينظم العلاج بالوخز بالإبر تدفق كل من الدم والتشى، فيتحدان عند وجود نقص، وينسحبان عند وجود فائض، ويحفزان على التدفق الحر عند وجود ركود. بديهية من بديهيات العلاج الطبي بالوخز بالإبر "لا ألم، لا انسداد؛ لا انسداد، لا ألم".

جرب العديد من المرضى إحساس التحفيز الناتج عن استخدام الإبر والذي يُعرف في الصينية بالتشى "الحصول على تشى" أو "وصول تشى"). تسمى أماكن الوخز بالابر خطوط الطاقة، ويمكن إثبات وجود هذه الخطوط كهربائيًّا لأنها تشكل مسارات التوصيل في الأنسجة.

وهناك أجهزة إلكترونية توضح اختلاف قدرة الجلد على التوصيل في الأماكن المختلفة للوخز بالإبر. غالبًا ما يستخدم هذه الأجهزة الممارسون ممن ليسوا ذوى الخبرة.

يعالج الطب الصينى التقليدى الجسم البشري ككل وينطوي على العديد من "وظائف الأعضاء" والتي يطلق عليها عمومًا اسم الأعضاء التشريحية وإن كانت ليست على صلة مباشرة بهم. إن المصطلح الصيني لهذه الأعضاء هو 'تسانغ فو'، حيث يطلق على تسانغ "الأعضاء الصلبة".

ويطلق على فو الأعضاء الجوفاء. من أجل التمييز بين هذه الأعضاء والأعضاء الفسيولوجية 'فتكتب في الإنجليزية بالحروف الكبيرة. يعرف المرض بأنه فقدان التوازن بين كل من يين، ويانغ، وتشى، والدم

(الذي يحمل بعض الشبه للتوازن). يتم علاج المرض عن طريق تعديل نشاط واحد أو أكثر من الأعضاء باستخدام فعالية الإبر، والضغط، والحرارة، إلخ. وذلك على أجزاء صغيرة حساسة في الجسم، عادة ما تسمى "نقاط الوخز بالإبر". هذا ما يُشار إليه في الطب الصينى التقليدى بعلاج "الأجزاء المتنافرة".

في الممارسة العملية، تختلف وظائف الجسم في الطب الصيني عن الطب الغربي. في الطب الصينى تسمى الوظائف الحيوية بخطوط طاقة القلب، وهي المسؤولة عن النوم، والوعي والقلق وكذلك ما يحيط بالقلب من دم وأوعية دموية. بينما في الطب الغربي، المشاعر عبارة عن عمليات كيميائية تتم في الدماغ.

كلتا النظريتين مختلفتان ومتناقضتان تبعًا لاختلاف أصولهما، فينظر الطب الغربي للتغييرات المرئية على الأعضاء، مثل اختبارات الدم، واختبارات فحص نسيج الجلد لتحديد مدى صحة العضو. يعتمد هذ التشخيص في العلاج على العقاقير والأدوية الكيميائية أو التدخل الجراحي. أما الطب الصينى فينظر للوظيفة، بحيث إن خفقان القلب يدل على وجود إعاقة في وظيفته.

(الطب الغربي لا يجد سببًا لخفقان القلب على الرغم من أن زيادته قد تشير إلى بداية ظهور أمراض القلب للأشخاص الذين سبق لهم الإصابة بالأزمات القلبية.) وبالتالى يقدم الطب الصينى علاجًا لتحسين وظيفة القلب، قد تكون نظرية الوخز بالإبر نتجت عن اكتشاف خطوط الطول أولاً ثم اكتشاف الوظائف لاحقًا، إن النظرية عبارة عن 'وصف' لشيء يُعمل.

إن وصف المرض هو أحد أهم النقاط والتي يهتم بها الطب الصينى. وقد سجلت هذه النظرية وصفًا لكل أمراض الإنسان وأعراضها التي أمكن ملاحظتها خلال الألف سنة الأخيرة.

نقاط الوخز بالإبر وخطوط الطاقة:

تقع معظم النقاط الرئيسية للوخز بالإبر على "خطوط الطاقة الاثنى عشر الرئيسية "واثنين منهم على" خطوط الطاقة الثمانية الإضافية" (القناة الحاكمة (دو ماى)، وقناة الحمل (رين ماى) فيبلغ الإجمالي "أربع عشرة قناة" وصفتها النصوص الطبية الصينية الكلاسيكية والتقليدية، بأنها الممرات التي يتدفق من خلالها التشى و"الدم".

هناك أيضًا "نقاط إضافية" لا تنتمى إلى أي قناة. كما أن هناك نقاطًا أخرى حساسة (تُعرف ب "نقاط آشى") ويمكن استخدام الإبر بها حيث يُعتقد أنها توجد بالأماكن التي بها ركود.

يمكن ممارسة العلاج بالوخز بالإبر على عدة طبقات على طول الممرات، والأكثر شيوعًا هي القنوات الاثنى عشر الأساسية، أو القنوات ماي، وتقع في جميع أنحاء الجسم. تتوافق القنوات الاثنى عشر الأولى مع وظائف الأعضاء التالية: الرئة، الأمعاء الغليظة، المعدة، الطحال، القلب، الأمعاء الدقيقة، المثانة، الكلى، تامور القلب، سان جياو (غير مادي، والمعروف أيضًا بالحارق الثلاثى)، المرارة، الكبد.

وهناك مسارات أخرى تشمل المسارات الثمانية الإضافية: الأوعية، القنوات المفرغة، القنوات العصبية أو الوترية. قنوات آشى (الحساسة)، وعادة تستخدم عادة لعلاج الآلام الموضعية.

اثنتان فقط من الممرات الثمانية الإضافية يوجد بهما نقاط وخْز بالإبر خاصة بهما : رين ماى، ودو ماي وتقعان على الخط النصفى الأمامى والخلفى من الجذع والرأس.

أما الست خطوط طاقة الأخرى فتنشط باستخدام تقنيات رئيسية ومزدوجة يتم من خلالها وخْز النقاط التي تقع على خطوط الطاقة الرئيسية الاثنى عشر التي تتوافق مع المسارات الاستثنائية.

توجد المسارات الاثنى عشرة الرئيسية في شكل عمودي، الثنائي، ومتناظر، وتقابل كل قناة أحد أعضاء تسانغ فو الاثنى عشر وترتبط به. وهذا يعني أن هناك ستة قنوات يين وستة قنوات يانغ. وهناك ثلاثة قنوات يين وثلاثة يانغ في كل ذراع، وثلاثة قنوات يين وثلاثة يانغ في كل ساق.

الثلاث قنوات يين في اليد تقابل (الرئة، التامور، القلب) وتبدأ من الصدر وتمتد على طول السطح الداخلي (غالبًا الجزء الأمامي) من الذراع لليد.

ثلاث قنوات يانغ باليد تقابل (الأمعاء الغليظة، سان جياو، والأمعاء الدقيقة) تبدأ من اليد وتمتد بطول السطح الخارجي (غالبًا الجزء الخلفى) من الذراع إلى الرأس.

ثلاث قنوات يين بالقدم تقابل (الطحال والكبد والكلى) تبدأ من القدم وتمتد بطول السطح الداخلي (غالبًا الجزء الخلفى والأوسط) للساق وتصل للصدر أو الوسط.

ثلاث قنوات يانغ بالقدم تقابل (المعدة والمرارة والمثانة) تبدأ من الوجه، في منطقة العين، وتمتد إلى أسفل الجسم بطول السطح الخارجي (غالبًا الجزء الأمامى والخلفى) للساق وتصل إلى القدم.

تشمل حركة تشى عبر كل من الاثنى عشر قناة الممرات الداخلية والخارجية. عادة المسار الخارجي هو الذي يظهر على خريطة الوخز بالإبر، ويكون سطحيًّا نسبيًّا. حيث إن كل نقاط الوخز بالإبر في القناة تقع على المسار الخارجي لها.

إن المسارات الداخلية هي الجزء العميق من القناة والتي تدخل داخل تجاويف الجسم وترتبط بأعضاء تسانغ فو. تشكل الممرات السطحية في الاثنى عشر قناة ثلاث دوائر كاملة من الصدر إلى اليد، من اليد إلى الرأس، من الرأس للقدم، من القدم إلى الصدر، وهكذا.

يقال إن توزيع تشى خلال المسارات يكون على النحو التالي (كما تحدده الساعة الصينية في الطب الصينى التقليدى): قناة الرئة باليد (ين) لقناة الأمعاء الدقيقة باليد (يانج) لقناة المعدة بالقدم (يانج) لقناة الطحال بالقدم (ين) لقناة القلب باليد (ين) لقناة الأمعاء الدقيقة باليد (يانج) لقناة المثانة بالقدم (يانج) لقناة الكلى بالقدم (ين) لقناة التامور باليد (ين) لقناة سان جيو باليد (يانج) لقناة المرارة بالقدم (يانج) لقناة الكبد بالقدم (ين) ثم تعود لقناة الرئة باليد (ين).

تستغرق كل قناة ساعتين؛ تبدأ من الرئة من ٣-٥ صباحًا، ثم تأخذ دائرة كاملة حتى تصل للكبد من ١-٣ صباحًا.

هناك نص تعليمى يوضح طبيعة خطوط الطاقة (أو القنوات) والعلاقة بينها وبين أعضاء الين واليانج:

تتداخل نظرية القنوات مع نظرية الأعضاء.إن وجهة النظر التقليدية لاتنظر أبدًا للأعضاء الداخلية على أنها كيانات تشريحية مستقلة إنما

تركز الاهتمام على الوظائف والعلاقات المرضية بين شبكة القنوات والأعضاء، وعلى ذلك، فإن كل قناة من القنوات الاثنى عشر الأساسية التقليدية ترتبط بعضو أو آخر من الأعضاء الحيوية في الجسم.

ويعتمد التشخيص والعلاج واختيار النقاط على الإطار النظري للقنوات أنه بسبب القنوات الاثنى عشرة، يظهر المرض، فيتعالج الناس، فيذهب المرض [المحور الروحي، الفصل ١٢] من البداية.

ولكن، يجب أنْ ندرك أن نظرية القنوات شأنها شأن الطب التقليدي، حيث تعكس حدود التطور العلمى قي ذلك الوقت؛ ولذلك اتسمت بالمثالية الفلسفية والميتافيزيقية قي عصرها. لذلك، كل ما له قيمة إكلينيكية يحتاج إلى إعادة النظر من خلال الممارسة والبحث لتحديد مدى صحته.

التشخيص التقليدي :

إن أخصائي الوخز بالإبر هو الذي يحدد النقاط التي سيمارس العلاج عليها تبعًا لملاحظة المريض وسؤاله، وطبقًا للتقليد الذي يتبعه. في الطب التقليدى الصينى، هناك أربع طرق للتشخيص: الفحص، الاستماع والشم، الاستفسار، اللمس.

الفحص: يركز على الوجه وخاصة على اللسان بما في ذلك حجم اللسان وشكله وتوتره ولونه ووجود أو عدم وجود علامات الأسنان حول حافته.

الاستماع والشم: الاستماع إلى بعض الأصوات (مثل الصفير)، وشم رائحة الجسم.

الاستفسار: يركز على ٧ أسئلة هي: القشعريرة والحمى العرق الشهية والعطش والتذوق التغوط والتبول الألم النوم الحيض والثر الأبيض

اللمس: ملامسة النقاط الحساسة (آشى)، وملامسة النبض اليمين واليسار على مستويين (السطحي والعميق)، وثلاثة أماكن كون، جوان، تشى (القريبة إلى ثني المعصم، مسافة أصبع أو اثنين، وعادة ما يلمس بإصبع السبابة والبنصر والوسطى.

كما توجد أشكال أخرى من العلاج بالإبر تستخدم تقنيات تشخيص إضافية. في عدة أشكال للوخز بالإبر الصينية التقليدية، وكذلك بالإبر اليابانية، تكون ملامسة العضلات والبطن أساس التشخيص.

منظور الطب الصينى التقليدى:

على الرغم من أن الطب الصينى التقليدى يقوم على معالجة "أنماط التنافر" بدلاً من التشخيصات الطبية الحيوية، إلا أن الممارسين مطلعون على العلاقات بينهما. وأحد أنماط التنافر في الطب الصينى التقليدى قد ينعكس على طائفة معينة من التشخيصات الطبية الحيوية.

وهكذا، فإن عوز الطحال (تشى) يمكن أن يظهر في شكل إجهاد مزمن أو إسهال أو هبوط الرحم. وبالمثل، فإن المرضى الذين تم تشخيصهم بالطب الحيوي، قد يجدون اختلافًا عن أنماط الطب الصينى التقليدى.هذه الملاحظات تجسدت في قول مأثور في الطب الصينى التقليدى "مرض واحد، عدة أنماط؛ ونمط واحد عدة أمراض".

في الممارسة السريرية (الإكلينيكية)، يعتمد العلاج بالوخز بالإبر على الخصوصية الشديدة، ويُبنى على أساس فلسفي فضلاً عن الانطباعات الذاتية والبديهية، وليس على البحث العلمي.

نقد نظرية الطب الصيني التقليدي :

فيليكس مان، المؤسس والرئيس السابق للجمعية الطبية الوخز بالإبر (١٩٥٩–١٩٨٠)، أول رئيس للجمعية الطبية البريطانية للوخز بالإبر (1980)، وصاحب أول كتاب شامل في الوخْز بالإبر باللغة الإنكليزية.

العلاج بالإبر: فن الشفاء الصيني القديم والذي نُشر لأول مرة في عام ١٩٦٢، وقد ذكر في كتابه إعادة اكتشاف الوخز بالإبر: مفهوم جديد للطب القديم.

"نقاط الوخز بالإبر التقليدية ليست حقيقية مثل البقع السوداء التي يراها السكير أمام عينيه". (ص ١٤)

"خطوط الطاقة ليست واقعية مثلها مثل خطوط الطول الجغرافية، وإذا ما كان هناك شخص يريد تسمية الأشياء بأسمائها فحاول حفر خط غرينتش، فسينتهى به الأمر في مصحة للأمراض العقلية. وربما هذا هو نفس المصير الذي ينتظر هؤلاء الاطباء الذين يعتقدون وجود خطوط الطاقة للوخذ بالإبر".

حاول فيليكس مان إدماج خبرته الطبية مع النظرية الصينية، على الرغم من احتجاجه على النظرية من الناحية المنطقية، إلا أنه كان معجبًا بها ودرَّب العديد من الناس في الغرب على بعض أجزاء منها. كما كتب العديد من الكتب حول هذا الموضوع.

إن الإرث الذي تركه، هو أنه يوجد الآن كلية في لندن ونظام للوخز بالإبر يُعرف باسم "العلاج بالوخز بالإبر الطبية". اليوم، تدرب هذه الكلية الأطباء والمتخصصين الطبيين الغربيين فقط.

تسبب الوخز بالإبر الطبية في الكثير من الجدل في أوساط ممارسي الطب التقليدي؛ كما يرغب المعهد البريطانى للوخز بالإبر في تسميته "العلاج باستخدام الإبر»، وترك مُسمى "الوخز بالإبر" حيث إنها تختلف عن الطرق التقليدية، ولكنه تراجع بعد ضغوط من المهن الطب.

يرى مان أن نقاط الوخز بالإبر مرتبطة بالنهايات العصبية، وأعاد تعيين استخدامات مختلفة للنقاط. فقد غيَّر النظرية بحيث لا يختلف العلاج من مريض لآخر، بعكس ما كان عليه أساس النظرية التقليدية.

ومن وجهة النظر التقليدية، تختلف مجموعات الإبر حسب عمر المريض، وطول الفترة الزمنية التي عانى فيها من المرض، ونوع الألم، وتاريخه المرضى. أما في الوخز بالإبر الطبية لا يعترف بشيء من هذا، حيث إن الأعراض هي التي تحدد مجموعة النقاط التي ستعالج.

وفى تقرير صادر عن لجنة التحقيق العلمي وتقصي الادعاءات الخارقة بخصوص العلوم المزيفة لجنة التحقيق العلمي وتقصي الادعاءات الخارقة في الصين، كتبه والاس سامبسون وباري بيرستين؛ قالا فيه:

"عدد قليل من العلماء الصينيين الذين قابلناهم يرون أنه على الرغم من أن تشى هو مجرد مجازى، إلا أنه لا يزال مفيدًا من الناحية الفسيولوجية المجردة؟

(على سبيل المثال، المفاهيم المرتبطة بالبين واليانغ موازية للمفاهيم العلمية الحديثة للتسمم الدرقى، وآليات التغذية المرتدة للتمثيل الغذائي).

إنهم ينظرون إلى هذه الخطوة باعتبارها وسيلة مفيدة لتوحيد الطب الشرقي والغربي. البعض المتعصب منهم رفض التشى حيث إنها ليست

سوى فلسفة، وليس لها أي علاقة ملموسة بعلم وظائف الأعضاء والطب الحديث" .

يقول الطبيب جورج أ. يولت، دكتور وأستاذ الطب النفسي الإكلينيكى في جامعة ميسوري، في كلية الطب:

"إن الوخز بالإبر خالٍ من الفكر الميتافيزيقي، وأصبح تقنية بسيطة قد تكون مفيدة باعتبارها وسيلة للسيطرة على الألم بدون عقاقير". وأعرب عن اعتقاده بأن العلاجات التقليدية الصينية تعتمد على التأثير الوهمي، ولكن التحفيز الكهربائي لنحو ٨٠ نقطة للوخز بالإبر أثبت قدرته على السيطرة على الألم".

تيد جاى كبتكوك، مؤلف كتاب الشبكة التي ليس لها ناسج، ويشير إلى الوخز بالإبر "بالعلم المبدئى". يقول كابتكوك عن نظرية الطب التقليدي الصيني:

"هذه الأفكار ثقافية تأملية تترتب على التوجه العملي لحالة المريض. ويوجد بها قليل من أسرار الحكمة الشرقية، حيث إنه عند عرض هذه الأفكار خارج الثقافة الصينية، أو ضمن عملية التشخيص والعلاج، فلا تجد لهذه الأفكار أهمية كبرى. إن حقيقة هذه الأفكار يكمن في الطريقة التي يتمكن بها الطبيب من تقديم العلاج الحقيقي للمرض".

وفقًا لبيان المعاهد الوطنية للصحة لعام ١٩٩٧ بشأن الوخز بالإبر، يقول البيان:

"على الرغم من الجهود الكبيرة لفهم تشريح وفسيولوجية " نقاط الوخز بالإبر"، إلا أن تحديدها وتوصيفها ما زال موضع خلاف. حتى أن

بعض أهم المفاهيم الطبية التقليدية الشرقية مراوغة، مثل التشى، وخطوط الطاقة، ونظرية الخمس مراحل، والتي من الصعب التوفيق بينهما وبين الخبرات الطبية المعاصرة. ولكن لا تزال تلعب دورًا هامًّا في تقييم المرضى وصياغة شكل العلاج الوخز بالابر.

توصلت دراسة واحدة على الأقل إلى أن الوخز بالإبر "يبدو أنه يخفف من الألم بالكاد أفضل من وضع الإبر في أماكن غير محددة بالجسم "، كما أشارت إلى أن بعض تأثير الوخز بالإبر قد يرجع إلى التأثير الوهمي.

الديانات فى الحضارة الصينية

تتنوع الديانات في الصين، وتتكاثر المعابد ودور العبادة لكن يظل الصين واحدًا.

دخلت هذه الأديان للصين بطرق مختلفة، فمثلاً دخلت البوذية الصين في القرن الأول الميلادي تقريبًا، وبدأت تنتشر منذ القرن الرابع، وأصبحت تدريجيًّا الدين الأوسع تأثيرًا في الصين. والبوذية التبتية فرع من الديانة البوذية، وتنتشر في التبت ومنغوليا الداخلية بصورة رئيسية. وفي الوقت الحاضر، يبلغ عدد المعابد البوذية في عموم الصين أكثر من ١٣ ألف معبد.

دخل الإسلام عند الإسيوان وازداد الإسلام ازدهاراً عظيماً، وحاليًا يبلغ عدد المساجد في الصين أكثر من ٣٠ ألف مسجد.

ودخلت الكاثوليكية الصين منذ القرن السابع الميلادي تدريجيًّا، وبدأت البروتستانتية تنتقل إلى الصين بحلول القرن التاسع عشر. وفي الصين اليوم أكثر من ٤٦٠٠ كنيسة وقاعة للكاثوليكية، و١٢ ألف كنيسة للبروتستانتية، وأكثر من ٢٥ ألف مكان بسيط (تجمع صغير) لمزاولة النشاطات الدينية.

وتشكلت الطاوية في القرن الثاني الميلادي، وهي تتخذ لاو-تسه ممثل المدرسة الفكرية الطاوية في فترة الربيع والخريف مؤسسًا لها، وكتابه ((الأخلاق)) كتابها المقدس الرئيسي. وفي الصين أكثر من ١٥٠٠ معبد طاوي.

لكل من البوذية والإسلام والكاثوليكية والبروتستانتية أتباع في الصين. بالإضافة إلى ذلك، في الصين أديان خاصة بها مثل الطاوية والشامانية والأرثوذكسية ودونغبا. فهناك عشر قوميات تدين بالإسلام، وهي هوي والويغور والقازاق والقرغيز والتتار والأوزبك والطاجيك ودونغشيانغ وسالار وباوآن.

وتدين قومية التبت ومنغوليا ولوبا ومنبا وتو ويويقو بالبوذية التبتية (تدعى أيضًا اللامية). وتدين قومية داي وبولانغ ودآنغ ببوذية هينايانا (المركبة الصغيرة). ومعظم أبناء قومية مياو وياو ويي يدينون بالكاثوليكية والبروتستانتية. وبعض الهانيين يدينون بالبوذية وبعضهم الآخر بالبروتستانتية والكاثوليكية والطاوية.

وهنا استعراض لأهم الديانات في الصين:

البوذية :

البوذية هي ديانة غير إلاهية، وهي من الديانات الرئيسية في العالم، تم تأسيسها عن طريق التعاليم التي تركها بوذا "المتيقظ". نشأت البوذية في شمالي الهند وتدريجيًا انتشرت في أنحاء آسيا، التيبت فسريلانكا، ثم إلى الصين، منغوليا، كوريا، فاليابان.

تتمحور العقيدة البوذية حول ٣ أمور (الجواهر الثلاث): أولها، الإيمان ببوذا كمعلّم مستنير للعقيدة البوذية. ثانيها: الإيمان بـ "دهارما"، وهي تعاليم بوذا وتسمّى هذه التعاليم بالحقيقة. ثالثها وآخرها: المجتمع البوذي. تعني كلمة بوذا بلغة بالي الهندية القديمة، "الرجل المتيقّظ" (وتترجم أحيانًا بكلمة المستنير). تجدر الإشارة إلى أن اللفظ الأصلي لمؤسس الديانة البوذية (بوذا) هو "بودا"، بالدّال، وليس بالذال.

الأصول الأولى للبوذية:

إن أولى المعلومات عن حياة بوذا لا تعدو كونها مجرد آثار شفوية متناثرة، لم تظهر أولى الترجمات الكاملة لحياته إلا بعد وفاته بسنين، غير أن المؤرخين يُجمعون على أن تاريخ مولده كان في منتصف القرن الـ٦ قبل الميلاد.

ولد بوذا واسمه الحقيقي "سيدارتا غاوثاما"، في "كايبافاستو"، على الحدود الفاصلة بين الهند والنيبال. كان والِدُه حاكمًا على مملكة صغيرة. تقول الأسطورة أنه عند مولده تنبأ له بعض الحكماء بأن تكون له حياةٌ استثنائية وأن يصبح أحد اثنين، حكيمًا أو سُلطانًا.

تربَّى الأمير الشاب في رعاية والده وعاش حياة باذخة وناعمة، حتى إذا بلغ سن التاسعة والعشرين، أخذ يتدبر أمرهُ وتبين له كم كانت حياته فارغة ومن غير معنى. قام بترك الملذات الدنيوية، وذهب يبحث عن الطمأنينة الداخلية وحالة التيقظ (الاستنارة)، محاولاً أن يخرج من دورة التناسخ (حسب التقاليد الهندوسية).

قام بممارسة اليوغا لبعض السنوات، وأخضع نفسه لتمارين قاسية وكان الزهد والتقشف شعاره في هذه المرحلة من حياته.

بعد سبع سنوات من الجُهد، تخلى "غاوثاما" عن هذه الطريقة، والتي لم تعُد تقنعه، واتبع طريقًا وسطًا بين الحياة الدنيوية وحياة الزُهّاد. كان يجلس تحت شجرة التين، والتي أصبحت تُعرف بشجرة الحكمة، ثم يأخذ في ممارسة التأمل، جرب حالات عديدة من التيقظ، حتى أصبح "بوذيساتفا"، أي أنه صار مؤهلاً لأن يَرتقى إلى أعلى مرتبة وهي بوذا.

في إحدى الليالي وبينما كان جالسًا تحت شجرة التين، بلغ حالة الاستنارة، وأصبح بوذا، أي المتيقظ (أو المستنير). بعد أن بلغ أعلى درجات الحقيقة، شرع بوذا يدعو إلى مذهبه، فتنقل من قرية إلى قرية، أخذ يجمع الناس من حوله، وأسس طائفة من الرهبان عُرفت باسم "سانغا". كرَّس بوذا بقية حياته لتعليم الناس حقيقة دعوته.

الكاثوليكية :

المسيحية الكاثوليكية هي أكبر طوائف الدين المسيحي. يقع مركزها في مدينة الفاتيكان، مقر البابا. يتواجد أتباعها في كثير من دول العالم وخاصة في جنوب أوروبا وأمريكا اللاتينية.

من الطوائف المسيحية الكاثوليكية:

- كنيسة الروم الكاثوليك.
- كنيسة السريان الكاثوليك.
- الكنيسة المارونية.
- الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية.
- الكنيسة الكاثوليكية القبطية.
- كنيسة الأرمن الكاثوليك.
- كنيسة اللاتين في القدس.

علم اللاهوت :

علم اللاهوت هو علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية، وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيون على التحليل العقلاني لفهم المسيحية بشكل أوضح، ولكي يقارنوا بينها وبين الأديان أو التقاليد الأخرى، وللدفاع عنها

في مواجهة النقد، ولتسهيل الإصلاح المسيحي، وللمساعدة بنشر المسيحية، ولأسباب أخرى متنوعة.

ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت العقائدي والأدبي والتاريخي والفلسفي والطبيعي وغيرها.

البروتستانتية :

البروتستانتية هي إحدى مذاهب الدين المسيحي، يتواجد أكثر تابعيها في شمال أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا. نشأت على يد مارتن لوثر في ألمانيا، وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، تتفرع منها العديد من الكنائس الأخرى. والبروتستانت هي كلمة معناها المحتجين. ومن أهم ميزات البروتستانت عن الطوائف المسيحية :

- الإيمان بأن الكتاب المقدس فقط (وليس البابوات) هو مصدر المسيحية.
- إجازة قراءة الكتاب المقدس لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسة.
- عدم الإيمان بالأسفار الأبوكريفا السبعة.
- عدم الاعتراف بسلطة البابا وحق الغفران وبعض عبادات وطقوس الكنيسة الكاثوليكية.
- يعتبرون الأعمال الصالحة غير ضرورية للخلاص.
- لكل كنيسة بروتستانتية استقلالها التام.
- يمنع البروتستانت الصلاة بلغة غير مفهومة كالسريانية والقبطية، ويرونها واجبة باللغة التي يفهمها المصلون.

- يمنع البروتستانت التبتل، ويوجبون زواج القسس لإصلاح الكنيسة.
- ويتفق البروتستانت مع الكاثوليك في انبثاق الروح القدس من الأب والابن كما يوافقونهم في أن للمسيح طبيعتين (إلهية وبشرية) ومشيئتين.

الأسفار الأبوكريفا السبعة:

وهي عبارة عن عدة أسفار تقرها كل من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية ضمن العهد القديم من الكتاب المقدس المسيحي وترفضها الكنائس البروتستانتية والإنجيلية والأسفار هي:

١. سفر طوبيّا (طوبيت): ويأتي في الترتيب بعد سفر نحميا ، والسفر يُصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
٢. سفر يهوديت: ويأتي في الترتيب بعد سفر طوبيّا (طوبيت)، والسفر يُصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
٣. سفر المكابيين الأول: ويرتب بعد سفر أستير، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
٤. سفر المكابيين الثاني: ويرتب بعد سفر المكابيين الأول، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
٥. سفر الحكمة: ويأتي بعد سفر نشيد الإنشاد في الترتيب؛ حيث يعد السفر من الأسفار الشعرية.
٦. سفر يشوع بن سيراخ: ويأتي بعد سفر الحكمة في الترتيب؛ حيث يُعد السفر من الأسفار الشعرية.

٧. سفر باروخ: وهو يلي سفر المراثي، ويدخل في تصنيف أسفار الأنبياء.

تتمة سفر أستير: وهي الأعداد في الأصحاح العاشر من ٤ إلى ١٣ بالإضافة إلى خمس أصحاحات أخرى كاملة هي الأصحاح XI والأصحاح XII والأصحاح XIII والأصحاح XIV والأصحاح XV والأصحاح XVI تتمة سفر دانيال: وهي عبارة عن ٦٧ عدداً تقع بعد العدد ٢٣ من الأصحاح الثالث، ويطلق عليها "تسبيحة الفتية القديسين الثلاثة" ، كما تشمل التتمة على الأصحاح الثالث عشر ويحتوي قصة سوسنة العفيفة والأصحاح الرابع عشر ويحتوي على قصَّتيّ الصنم بال والتنين.

وتسمى هذه الأسفار بـ "الأسفار القانونية الثانوية" تمييزاً لها عن الأسفار القانونية الأولى التي تعترف بها تقريباً جميع الكنائس، كما أنه يطلق عليها الفريق الأول "الكاثوليك والأرثوذكس" الأسفار المحذوفة لأن البرتستنت قاموا بشطبها من متن الكتاب المقدس.

أما الفريق الثاني "البرتستانت" فيطلقون عليها الأسفار المنحولة أو الغير قانونية (أبوكريفا) لقولهم بأنها مضافة وليست مقدسة.

ويدلل معدو عدم قانونية تلك الأسفار بأن المتن اليهودي للكتاب المقدس (العهد القديم بطبيعة الحال لأن اليهود لا يعترفون بالعهد الجديد ككتاب مقدس) لا يحويها، كما أنها – أي الأسفار الثانية – ليست ذات محتوى روحي مثل بقية الأسفار، كما أن زمن كتابة هذه الأسفار جاء بعد قيام الكاهن عزرا بجمع التوراة.

بينما يذهب أصحاب القول بقانونية تلك الأسفار – أي الكاثوليك والأرثوذكس – أن الترجمة السبعينية للتوراة التي قام بها أحبار اليهود السبعين من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية سنة ٢٨٠ق م حوت تلك الأسفار.

كما أن كتبة العهد الجديد اقتبسوا منها في كتاباتهم، بل إن السيد المسيح شخصيًّا اقتبس منها في بعض أقواله، كما أن بعض آباء الكنيسة الأوائل قد وصفوها بأنها مقدسة مُوحى بها، بل حتى أن بعض المجامع المسيحية الأولى قد أقرت بقانونيتها.

ورغم أن هذه الأسفار غير موجودة في الكتاب المقدس عند اليهود المسمى التناخ لكنهم يعترفون بأهمية تاريخية لهذه الأسفار. وبعض أعيادهم مثل عيد الأنوار (الحانوكاة) تم استقاؤه من سفر المكابيين.

والواقع أن البروتستانت أنفسهم يقعون في العديد من التناقضات بشأن هذه الأسفار لأنهم يبيحون الاستشهاد بها ولكن لا يعتبرونها قانونية ولا يمكن إنشاء عقيدة منها.

أما الشيء الآخر فهو عدم اتفاقهم عليها، فاللوثريون والأنكليكان وهم المصنفان من المجموعات الإنجيلية أو البروتستانتية المحافظة يقبلون هذه الأسفار ويضعونها في طبعاتهم.

إذن أين المشكلة؟؟؟ في الواقع أن المشكلة بشكلها المعاصر لم تظهر إلا مع طبعة دار لييج للكتاب المقدس والتي تم فيها إسقاط الأسفار القانونية الثانوية والتي تُسمى الديوترونيكون منها وهي التي سببت موجة عارمة من الانتقاد الواسع لهذه الأسفار في عالمنا المعاصر.

المصادر:

- واين جرودم اللاهوت النظامي. ويعتبر هذا الكتاب من صلب العقائد البروتستانتية.
- الكتاب المقدس في المتحف البريطاني الكتاب بالإنكليزية. وهو من إعداد المتحف البريطاني.
- كتاب سألتني فأجبتك. لأسبيرو جبور.

الطاوية :

الطاوية (بالصينية: Dàojiào) مجموعة مبادئ، تنقسم لفلسفة وعقيدة دينية، مشتقة من المعتقدات الصينية الراسخة القِدَم. من بين كل المدارس العقلية التي عرفتها بلاد الصين، تُعتبر الطاوية الثانية من حيث تأثيرها على المجتمع الصيني بعد الكونفشيوسية.

تعريب الكلمة، الهدي، الطريقة أو الطريق، الذي يسلكه أتباع الديانة، اسمهم المهديون أتباع الهدي، وديانتهم الهداية.

حين بدأت الديانات الابراهيمية (يهودية، مسيحية، إسلام) من الأعلى إلى الأسفل (الله وملائكته)، بدأ أتباع الهدي من الأسفل إلى العالم العلوي. راقب قدماء الصينيين الإنسان ببساطة، ثم جردوه من غلافه للمقارنة بينه وبين الحيوان.

فظهر جليًّا أن الأشياء الحية المتطورة لها أصلان، ذكري وأنثوي، متضادان، متحدان (الين YIN الأنثوي واليانغ Yang الذكري)، منبعهما شيء له صفتان، غموض أنثوي ونشاط ذكري، أصل كل الأنواع على الأرض وغيرها، التاو (DAO)، طاو، أو الهدي كما يُعربه البعض.

لو كانت فرصة، للاحظ القدماء أن البكتيريا تتواصل أيضًا، بأعضاء شبه تناسلية، (Pili)، مع أنها تعتبر الكائنات البدائية.

الطاوية، بالمعنى المتداول اليوم، تشمل تيارين أو مدرستين متباينتين: مدرسة فلسفية، نشأت أثناء الفترة الكلاسيكية لحكم سلالة "تشو" في الصين، المدرسة الثانية عبارة عن مجموعة من المعتقدات الدينية، طورت خمسمائة سنة بعد المدرسة الأولى، وفي ظل حكم سلالة "هان".

يطلق اليوم على هاتين المدرستين الطاوية الفلسفية والطاوية الدينية على التوالي.

نشأت المدرسة الأخيرة بعد ظهور أحد الحكماء واسمه "لاو-تسه"، قام الأخير بإملاء تعاليمه على أحد المنتسبين إلى المدرسة الطاوية الأولى وهو "تشانغ داولنغ"، وقعت هذه الأحداث في جبال السيشوان، ويؤرخ البعض أحداثها سنة ١٤٢ بعد الميلاد.

على الرغم من التأثيرات ذات الطابع الديني والمأخوذة من المعتقدات القديمة للأهالي، الديانة الشامانية، الكهانة أو الشعوذة، على رغم كل هذه التأثيرات استطاعت المدرسة الطاوية الفلسفية الحفاظ على نفسها؟

في نفس الوقت شقت الديانة الطاوية لنفسها طريقًا وسطًا، ويتجلى تأثيرها أكثر في الثقافية الشعبية الصينية.

مصطلحات: قد تلاحظ أن التسمية العربية للفلاسفة الصينيين لها نفس مشاكل التسمية في لغات أخرى، فتشوانغ تسو مثلاً، هو شوان زي،

حين يسمى بالإنجليزي **Chuang tzu** أو **Zunag zi** وبالفرنسي **Tchouang Tseu**.

ظهرت وتطورت المدرسة الطاوية الفلسفية أثناء الانتعاش الفكري الذي صاحب فترة حكم سلالة "تشو"، عرفت الفترة ظهور العديد من المدارس الفلسفية، كانت تتنافس مع بعضها حتى تحظى بشرف تقديم النصائح للحكام (في المقاطعات)، حول الكيفية الأمثل حتى يحيوا حياة أفضل وحتى يحسنوا تسيير الأمور في عالم تتسارع فيه وتيرة التغيرات السياسية والاجتماعية.

تدعو هذه المدرسة إلى احترام الذات والانعزال عن الحياة العامة، تفرعت هذه المبادئ عن التقاليد الصينية القديمة للتصوف والعبادة التأملية والتي ارتبطت باليوغا. قام الفيلسوف "تشوانغ تسو" بتطوير هذه المبادئ في نهاية القرن الـ ٤ قبل الميلاد.

الفلسفة :

يمكن العثور على تعاليم ومبادئ المدرسة الطاوية الفلسفية بين دفتي اثنين من أهم المصنفات: الأول وهو الـ"داوديجنغ" ألَّفه "لاوتسو في القرن الـ٣ ق.م.، المصنف الثاني أو الـ"تشوانغ تسو"، ويضم مجموعة من الأمثال والمواعظ، صنفه "تشوان غتسو" في نفس الفترة السابقة تقريبًا (القرن الـ٣ ق.م.).

حتى يكون الإنسان في حالة تناغم مع الـ"طاو "، وجب عليه أن يمارس الـ "لا فعل" (وو واي)، أو على الأقل اجتناب كل الأفعال الناتجة عن الغصب (الإجبار)، الاصطناع أو الغير خاضعة للطبيعية.

عن طريق التناغم التلقائي مع نزوات طبيعته الذاتية الأساسية، وترك كل المعارف العلمية المكتسبة، يتحد الإنسان مع "الطاو" ويستخلص منه قوة غامضة (دي). بفضل هذه القوة يستطيع الإنسان تجاوز كل المستحيلات على ذوي البشر العاديين، على غرار الموت والحياة.

اعتبرت المدرسة الطاوية المبكرة هذه القوى بأنها سحرية، فيما اعتبرها كل من "لاوتسو" و"تشوانغ تسو قوى ناتجة عن أهلية الشخص (اِسْتِحْقاق)، وعوامل الطبيعية والتلقائية.

انتقد "تشوانغ سو ما كان يذهب إليه كل من "كونفيشيوس" وأتباع مدرسة "موتسه"، من أن الحكمة الإنسانية وحدها يمكن أن تقود إلى استكشاف الـ"طاو"، كان يعتقد أن التمييز (الذاتي، التلقائي) للأفكار التصورية هو المسئول عن انفصال الإنسان عن الـ "طاو".

على الصعيد السياسي، دعا أتباع الطاوية إلى العودة لنمط الحياة الفلاحية البدائي. في كتاب الـ "داوديجنغ" ينطبق مبدأ الـ "لافعل" على الحُكام أيضًا على غرار محكومِيهم، فلا يترتب عليهم أي فعل حتى يضمنوا أنهم ورعيتهم يعود كل طرف بالمنفعة على الآخر. إلا أن "لاو-تسه كانت له مآخذ على بعض الآراء السطحية لـ"تشانغتسي" كان الأول ينصح الحكام بأن يعملوا حتى تكون بطون الرعية ملآنة فيما تكون عقولهم خاوية، كان يرى أن الجهل يؤدي إلى نزع الرغبة في نفوس الناس.

كان "لاوتسو" يقارن الأفراد من أبناء الشعب بكلاب القش التي تستعمل في مراسيم الأضاحي، كان يتم مراعاتهم قبل موعد الطقوس، ثم يتم رميهم والتخلص منهم بمجرد انتهاء هذه المراسيم. كان النظام المثالي

في رأي "لاو–تسه هو النظام الشمولي الذي يقوده ملك–فيلسوف، أما الرعية فيجب أن تكون مسالمة ومطاوعة لأقصى درجة لهذا الحاكم.

ترك هذا الأخير أثرًا بالغًا في إحدى المدارس الفلسفية ذات التوجهات الشمولية، والتي أنشأها "هان فاي تسي".

على عكس الكونفشيوسية والتي كانت تدعو الفرد إلى الانصياع إلى النظام التقليدي، كانت مبادئ الطاوية تقوم على أنه يجب على الإنسان أن يهمل متطلبات المجتمع المحيط، وأن يبحث فقط عن الأشياء التي تمكِّنه من أن يتناغم مع المبادئ المؤسِّسة للكون، أو "طاو" (طريق).

يقول "مينغ–تسي" (من أتباع المدرسة الكونفشيوسية) وهو يصف أتباع لاوتسو، "لن يضحوا ولو بشعرة إذا توجب ذلك لإنقاذ العالم".

تطور فلسفة الهدي مع ظهور الكونفوشية:

عرفت الصين خلال تاريخها (تاريخ الصين) اضطرابات عديدة وشديدة (الممالك المتحاربة، انقلابات على أنظمة)، جعل فلاسفة تلك المرحلة في عودة إلى الماضي، مستلهمة البساطة، السكينة، من سذاجة الناس، راجية الإبقاء على الأمور في حالة سكون، تفاديًا للفوضى.

نقرأ كيف أن لاوتسو وتشوانغ سو انتقدا في كتاباتهما، نهم الإنسان نحو العلم والتطور، آخذين عليه إهماله للسكينة ووداعة العيش. هذه النظرة لامت أيضًا كونفوشيوس وأتباعه في سيرهما نحو نزع الأمية من المجتمع الصيني، وسعيه الحثيث في تغيير السياسيات المطبقة.

مع هذا، اعترف كونفوشيوس نفسه بأنه على الهدي، على الطاوية القديمة، هذا ما دفع كسون زي (Xunzi) أحد أتباع كونفوشيوس، للمزج

بين الهدي كالطريقة الأولى والواحدة، وبين الكونفوشية (كونفشيوسية) التي تدعو للتطور.

قال كسون زي، في كتاباته: كل شيء يتغير، تمامًا مثل الهدي، الذي هو في تغير دائم. وأعطى مثالاً، حيث يطالَب أتباع الهدي بالمحافظة على الصحة الجسمية والعقلية، وقارنها بالطبيب المهدي الذي يسعى حثيثًا في بحث حول أنجع الأدوية تفاديًا للأمراض.

ظهر بعدها أن الكونفوشية، مجرد نهج في طريق الهدي، وأن الهدي، هو أساس الفلسفة أخيرًا.

الشامانية :

الشامانية هي ظاهرة دينية تتضمن مجالات وممارسات الشامان. بالرغم من أن الشامانية موجودة بعدة أشكال حول العالم، قد يكون موطن الشامانية بشكلها النقي سايبيريا وآسيا الوسطى، بالإضافة إلى السكان الأصليين للأمريكيتين والذين يبدون من أصول وسط آسيوية.

للشامانية أيضاً وجود في ديانة الشنتو في اليابان، وممارساتهم متعلقة بشكل رئيسي بالطقوس القروية. وفي الهند الصينية، تهتم ممارسات الشامان بشكل رئيسي بمعالجة المرضى. أما بالنسبة للشامانية في كوريا فهي متعلقة أساساً بعالم الأرواح.

الشامان هم سحرة دينيون يقولون بأن لديهم قوة تتغلب على النيران، ويستطيعون إنجاز الأمور عن طريق جلسات تحضير الأرواح التي فيها تغادر أرواحهم أجسامهم إلى عوالم الروح أو تحت الأرض حتى تستمر بمعالجة المهمات. الغرض الرئيسي للشامان في أي مكان هو المعالجة. يسيطر الشامان الناجح على الأرواح التي يعمل معها.

ويستطيع (كما يدعي) التواصل مع الموتى. يدرب الشامان أحياناً بواسطة "سيد الشامانات" والذي يكون أكثر خبرة منه في الشامانية. يجب على الشامان معرفة كيفية السيطرة واستخدام بعض الأمور الشخصية الطقوسية، مثل قرع الطبال أو العربة التي يقودها للسفر، كما يجب عليه حفظ تلك الأشكال والأغاني الطقوسية المهمة بالنسبة إليه.

الأرثوذكسية:

الكنيسة الصينية الأرثوذكسية ، هي كنيسة أرثوذكسية شرقية شبه مستقلة تابعة للكنيسة الروسية الأرثوذكسية تتمركز في الصين.

وصلت المسيحية الأرثوذكسية إلى الصين عام ١٦٨٥، وخلال المائة والخمسين عام التالية لم ينجذب الكثير من الصينيين لاعتناق هذا المذهب، حيث يُعتقد أنه عام ١٨٦٠ لم يكن عدد الأرثوذكس في بكين يتجاوز ٢٠٠ فرد، بما فيهم المنحدرون من أصل روسي.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قامت الكنيسة الأرثوذكسية بخطوات واسعة في مجال التبشير في الصين، حيث أرسل للبلاد الكثير من رجال الدين والوعاظ الروس. تزامن ذلك مع ترجمة الكثير من الكتب الروحية والدينية المسيحية للغة الصينية.

اندلعت في الصين بين عامي ١٨٩٩ و ١٩٠١ ما عرفت بثورة الملاكمين، وهي ثورة أطلق شرارتها غضب الصينيين من النفوذ الأجنبي الذي كان يتنامى في البلاد من جميع النواحي (التجارية، السياسية والدينية).

أدى ذلك إلى هجمات عنيفة شنها الثوار ضد أتباع الديانة المسيحية ولم يستثن من ذلك الأرثوذكس. واليوم تحتفل الكنيسة الصينية

الأرثوذكسية كل عام في شهر يونيو/حزيران بذكرى ٢٢٢ أرثوذكسي قضوا في تلك الثورة بحد السيف وتعتبرهم من شهدائها، ولها أيقونة أرثوذكسية خاصة بذكراهم، وكان من بينهم قسيسٌ يُدعى ميتروفان.

بعد انتهاء الثورة عام ١٩٠٢ بقي للكنيسة الأرثوذكسية الصينية ٣٢ كنيسة وستة آلاف فرد من أتباعها. وفي عام ١٩١٧ عقب بدء الثورة البلشفية هاجر الكثير من الروس – من سيبيريا خاصة– إلى الصين، بينهم كهنة ورجال دين، ساهم ذلك بزيادة تفعيل العمل التبشيري. وفي عام ١٩٣٩ وصل عدد الأرثوذكس في الصين ومنشوريا إلى ٢٠٠,٠٠٠ فرد يقودهم خمسة أساقفة.

في عام ١٩٤٥ أصدرت الحكومة الصينية الشيوعية قرارًا يقضي بطرد جميع البعثات التبشيرية الأجنبية من البلاد، وشمل ذلك القرار الروس الأرثوذكس أيضًا.

فعاد قسم كبير منهم إلى روسيا وهاجر قسم آخر للولايات المتحدة وكندا. وهكذا تقلص عدد الأرثوذكس في الصين ليصل إلى ٢٠,٠٠٠ أرثوذكسي نصفهم فقط من الصينيين يرعاهم أسقف واحد.

في عام ١٩٤٩ بلغ عدد الكنائس الأرثوذكسية ١٠٦ ولكن خلال الثورة الثقافية الصينية (١٩٦٦-١٩٧٦) دُمرت تقريبًا جميع الكنائس الأرثوذكسية في البلاد.

وفي منتصف الثمانينات أطلقت جهود إحياء الكنيسة الأرثوذكسية الصينية، فافتتحت كنيسة في هاربن، وفي عام ١٩٨٦ سُمح لعدد صغير من الصينيين والروس بالصلاة فيها.

حاضر الأديان في الصين الحديثة :

تعترف السلطات الصينية بعدد محدد من الأديان في البلاد، كالبروتستانتية، الإسلام، الطاوية، والبوذية، ولكنها ترفض الاعتراف بالأرثوذكسية والكاثوليكية. وهذا ما يشكل عائقًا كبيرًا للأرثوذكس من ممارسة طقوس عبادتهم بحرية، هذا فضلاً عن صعوبة التبشير بإيمانهم بين الصينيين.

بينما يُسمح لأتباع الكنيسة الأرثوذكسية الصينية في هونغ كونغ وتايوان مزاولة عباداتهم بحرية كبيرة. ويقوم عدد من الصينيين الأرثوذكس بالدراسة في معاهد لاهوتية في روسيا بغرض العودة لبلادهم لخدمة كنائسهم.

العمارة فى الحضارة الصينية

العمارة الصينية هي نمط من العمارة التي اتخذت شكلاً في شرق آسيا على مدى قرون عديدة. ظلت المبادئ الهيكلية للعمارة الصينية دون تغيير إلى حد كبير، والتغييرات الرئيسية هي فقط تفاصيل الزخرفة منذ عهد أسرة تانغ، كان للعمارة الصينية تأثير كبير على الأساليب المعمارية لكوريا وفيتنام واليابان.

"فن العمارة الصينية قديمة العهد كالحضارة الصينية. من كل مصدر للمعلومات الأدبية والرسمية والمثالية، هناك أدلة قوية تدل على أن الصينيين كانوا يتمتعون دائمًا بنظام بناء السكان الأصليين الذي احتفظ بخصائصه الرئيسية من عصور ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا، على مساحة واسعة من تركستان الصينية إلى اليابان، من منشوريا إلى النصف الشمالي من الهند الصينية الفرنسية، نفس نظام البناء هو السائد.

هذا هو مجال التأثير الثقافي الصيني. أن هذا النظام من البناء يمكن أن يظل موجودًا لأكثر من أربعة آلاف سنة على مثل هذا الإقليم الشاسع، ولا تزال البنية الحية، محافظة على خصائصها الرئيسية على الرغم من الغزوات الأجنبية المتكررة العسكرية والعقلية والروحية، هي ظاهرة قابلة للمقارنة فقط لاستمرارية الحضارة التي تشكل جزءًا لا يتجزأ منها. ليانغ، سو – شونغ ١٩٨٤.

خلال القرن العشرين، حاول المهندسون المعماريون الصينيون المدربون من الغرب الجمع بين التصاميم الصينية التقليدية في الهندسة

المعمارية الحديثة (عادة الحكومة) مع نجاح كبير. علاوة على ذلك، فإن الضغط من أجل التنمية الحضرية في جميع أنحاء الصين المعاصرة يتطلب سرعة أعلى من البناء ونسبة مساحة الطابق الأعلى.

مما يعني أنه في المدن الكبرى الطلب على المباني الصينية التقليدية، والتي هي عادة أقل من ٣ مستويات، ورفض لصالح العمارة الحديثة .

مع ذلك، فإن المهارات التقليدية للهندسة المعمارية الصينية، بما في ذلك النجارة الرئيسية والثانوية، والبناء، والحجارة، لا تزال تطبق على بناء العمارة العامية في المنطقة الريفية الشاسعة في الصين.

التماثل الثنائي المعماري :

هناك ميزة هامة جدًا في العمارة الصينية هي التركيز على التعبير والتناظر الثنائي، مما يدل على التوازن. تم العثور على التماثل الثنائي وتعبير المباني في كل مكان في العمارة الصينية، من مجمعات القصر إلى بيوت المزارع المتواضعة.

وعندما يكون ذلك ممكنًا، فإن خطط تجديد المنزل وتوسيعه ستحاول في كثير من الأحيان الحفاظ على هذا التناظر شريطة توافر رأس مال كافٍ للقيام بذلك. يتم وضع العناصر الثانوية جانبي الهياكل الرئيسية كجناحين للحفاظ على التماثل الثنائي الكلي.

عادة ما تخطط المباني لاحتواء عدد من الأعمدة في هيكل لإنتاج عدد فردي من الخلجان .(間) مع إدراج باب رئيسي لمبنى في الخليج المركزي، يتم الحفاظ على التناظر.

على النقيض من المباني، الحدائق الصينية هي استثناء ملحوظ التي تميل إلى أن تكون غير متناظرة، المبدأ الذي يقوم عليه تكوين الحديقة هو خلق تدفق دائم .

السياج :

في الكثير من العمارة الصينية التقليدية، المباني أو مجمعات البناء تأخذ كامل الممتلكات ولكن أرفق مساحات مفتوحة داخل أنفسهم. هذه المساحات المغلقة تأتي في شكلين، هما:

كورتيارد :(院) استخدام الساحات المفتوحة هو سمة مشتركة في العديد من أنواع الأبنية الصينية. هذا هو أفضل مثال في سيهيوان، التي تتكون من مساحة فارغة تحيط بها المباني المتصلة بعضها البعض، إما مباشرة أو من خلال الشرفات.

"بئر السماء :(天井) "على الرغم من أن الفناءات الكبيرة المفتوحة تكون أقل شيوعًا في العمارة الصينية الجنوبية، يمكن رؤية مفهوم "فضاء مفتوح" محاط بالمباني، والذي يظهر في مجمعات الفناء الشمالية، في المبنى الجنوبي المعروف ب"بئر السماء".

هذا الهيكل هو في الأساس فناء مغلق نسبيًّا تشكل من تقاطعات المباني المتباعدة عن كثب وبمقدمتها فتحة صغيرة في السماء من خلال مساحة الأرض السطحية.

تخدم هذه المرفقات في تنظيم درجة الحرارة وفي تنفيس مجمعات البناء. عادة ما تكون الفناءات الشمالية مفتوحة ومواجهة للجنوب للسماح بأقصى قدر من التعرض لنوافذ البناء والجدران للشمس مع إبقاء الرياح الشمالية البارد خارجًا.

آبار السماء الجنوبية صغيرة نسبيًّا وتعمل على جمع مياه الأمطار من قمم السقف. هم يؤدون نفس الواجبات مثل الطبل الروماني مع تقييد كمية أشعة الشمس التي تدخل المبنى. كما تعمل آبار السماء أيضًا كمخارج لارتفاع الهواء الساخن، الذي يستمد الهواء البارد من الطوابق التحتية للمنزل، ويسمح بتبادل الهواء البارد مع الخارج.

الأنماط المعمارية :

العامي :

كانت منازل المواطنين، سواء كانوا بيروقراطيين أو تجار أو مزارعين، تميل إلى اتباع نمط محدد: مركز المبنى سيكون ضريحًا للآلهة والأجداد، والذي سيستخدم أيضًا خلال الاحتفالات. على جانبيها غرف نوم للشيوخ.

كان الجناحان من المبنى (المعروف باسم "التنين الحارس" من قِبَل الصينيين) لأعضاء صغار من الأسرة، فضلاً عن غرفة المعيشة وغرفة الطعام، ومطبخ، على الرغم من أن غرفة المعيشة في بعض الأحيان يمكن أن تكون قريبة جدًّا إلى المركز.

الإمبراطورية :

كانت هناك بعض السمات المعمارية التي تم حجزها فقط للمباني التي بُنيت لامبراطور الصين من الأمثلة على ذلك استخدام بلاط السقف الأصفر، والأصفر هو اللون الإمبراطوري.

بلاط السقف الأصفر لا يزال يزين معظم المباني داخل المدينة المحرمة معبد السماء، مع ذلك، يستخدم البلاط سقف أزرق لترمز إلى السماء.

تدعم الأسقف بشكل دائم تقريبًا الأقواس ("دوغونغ")، وهي ميزة مشتركة فقط مع أكبر المباني الدينية. الأعمدة الخشبية للمباني، وكذلك أسطح الجدران، تميل إلى أن تكون باللون الأحمر. الأسود هو أيضًا اللون الشهير غالبًا ما يُستخدم في الباغودات، كان يُعتقد أن الآلهة مستوحاة من اللون الأسود لتنزل إلى الأرض.

تم استخدام التنين الصيني ذي الخمسة مخالب، الذي اعتمده أول إمبراطور مينغ لاستخدامه الشخصي، كديكور على الحزم والأعمدة، وعلى الأبواب على العمارة الإمبراطورية. من الغريب أن التنين لم يستخدم أبدًا على أسطح المباني الإمبراطورية.

لم يُسمح إلا للمباني التي تستخدمها العائلة الإمبراطورية أن يكون تسعة (جيان間) ، الفضاء بين عمودين. فقط البوابات المستخدمة من قبل الإمبراطور يمكن أن تكون خمسة أقواس، مع المركز الأول، وبطبيعة الحال، يتم حجز للإمبراطور نفسه. الصينية القديمة فضلت اللون الأحمر . واجهات المباني الجنوب لأن الشمال كان لديه رياح باردة.

الكتب والمكتبات في الحضارة الصينية

تُعد من أقدم حضارات الشرق الأقصى، حيث يمتد تاريخها الحضاري إلى أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وتقع الحضارة الصينية بين بطاح سيبيريا في الشمال، وصحارى آسيا في الغرب، وجبال الهملايا ومتفرعاتها في الجنوب، وبحر الصين في الشرق.

وكان لوجود أحواض نهرية خصبة وجيدة المناخ مثل حوض نهر "هو انغ- هو " و"يانغ -تسي -كيانغ"، الأثر الكبير في تسهيل قيام تجمعات سكانية وبشرية مستقرة منذ أقدم العصور، مما أتاح لتلك الشعوب أن تعتمد على ذاتها في تسيير بنيانها الحضاري المتكامل. والشعب الصيني من الجنس الأصفر ويغلب عليه الطابع المغولي، وقد جاء عبر النجود الصحراوية إلى هذه المنطقة في موجات متتابعة.

يتحدث الصينيون لغات ترجع في أصولها إلى اللغات الصينو- تبتية، أو الهندية- الصينية. ولا يُعرف على وجه التحديد متى نشأت الكتابة في حضارة الصين، فبالرغم من أن أقدم الآثار المكتوبة ترجع إلى عهد دولة شانج (١٥٢٣- ١٠٢٧ق. م)، إلا أن بعض الآثار المكتوبة على ظهر عظام السلاحف وقطع البرونز التي وجدها الأثريون في بعض مناطق الصين، تدل على أن بداية الكتابة في الحضارة الصينية أبعد تاريخًا من عهد دولة شانج.

ويرجع المؤرخون أن الكتابة في الحضارة الصينية بدأت في الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانوا يستخدمون أولاً نظام العقد في الكتابة، ثم لجأوا

لاحقًا إلى الكتابة التصويرية **pictographic** التي تحولت في حوالي منتصف الألف الثانية قبل الميلاد إلى النظام الرمزي **Ideo-graphic** وفي الواقع لم يطور الصينيون كتاباتهم أبدًا إلى شكل أبجدي صرف، بل ظلت كتابة أيدروجرامية **Ideogram** برموز المعاني، لكن فيها رموز الأصوات المقطعية، حتى يومنا الحاضر، بحيث يتعين على الطالب الصيني عند تعلم الكتابة أن يدرس آلاف الرموز والعلامات.

مواد الكتابة في الحضارة الصينية:

بدأ الصينيون الكتابة باستخدام مواد كتابية بدائية، كعظام الحيوانات، وخاصة عظام السلاحف، وأعواد البامبو، والألواح الخشبية، ثم بعد ذلك الحرير، فقد بدأوا يستخدمون قطع الحرير ونسيجه، إلا أن استخدام الحرير كمادة للكتابة كان مقتصراً على طبقة معينة وأغراض محددة، فكان استخدامه قاصرًا على الحكام، والنبلاء، ورجال الدين، وطبقة الأثرياء، وذلك لتكلفته العالية.

أما الاكتشاف الصيني الهائل الذي أضاف بُعدًا حقيقيًّا إلى مواد الكتابة، فهو اكتشاف الورق. وكان الصينيون قبل الميلاد بحوالي قرنين من الميلاد يقومون بتقطيع الأنسجة أجزاء صغيرة ويتركونها في الماء إلى أن تتحول إلى عجين يتم تجفيفها لتصبح نوعًا من الورق.

إلا أن هذا النوع من الورق لم يُكتب له الانتشار لروائحه وعدم مناسبته كوسيط كتابي.

ويشير بعض الباحثين أن الصينيين استخدموا هذه التقنية أيضاً باستخدام الحرير لتصنيع ورق خفيف ناعم للغاية، إلا أنها كانت مكلفة للغاية. وظلت تلك التقنيات مستخدمة حتى حلول القرن الثاني الميلادي حيث قام تساي لون، في مقاطعة هونان عام ١٠٥ م باكتشاف تقنية جديدة باستخدام مواد رخيصة الثمن لتصنيع الورق.

كان لظهور هذا الاكتشاف أعظم الأثر في انتشار الورق واستخدامه كوسيط كتابي وإحلاله محل الوسائط الكتابية الأخرى التي كانت مستخدمة في ذلك العهد. وانتشر هذا الاختراع بسرعة كبيرة في جميع أنحاء الصين، ثم في "سن كيانغ" أو ما يُسمى بالتركستان الصينية، وتشير المراجع إلى أن أقدم النصوص المكتوبة على هذه المادة الورقية الجديدة هي وثائق مكتوبة بلغات مختلفة منها العبري، وتعود في تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي.

وكما سبقوا العالم في صناعة الورق . فقد سبقوا العالم أيضاً في اكتشاف وسائل الطباعة البدائية.

ويسرد جروليبيه مراحل الطباعة في الصين، ويقسمها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الخاتم المحفور. ويشير بعض المؤرخين أن تقنية الخاتم المحفور كانت معروفة في العصر اليوناني القديم، وأنها انتقلت إلى الصين عن طريق فتوحات الإسكندر الأكبر للشرق الأقصى، إلا أن الأختام التي على الصلصال التي عثر عليها "أوريل ستين"، والتي

تعود إلى عهد أسرة هان حوالي سنة ٣٠٦ ق.م تقترب في شكلها اقترابًا كبيرًا من الأختام السومرية التي ظهرت فيه الكتابة في الحضارة السومرية، وكانت على شكل أسطوانات محفورة تدحرج على الصلصال اللبن النيئ. وأيًّا كان أصل الخاتم الصيني المحفور، فقد حلَّ الخاتم على الورق محل الخاتم على الصلصال في الحضارة الصينية ما بين القرنين الثالث والرابع، أي بعد اكتشاف الورق بحوالي قرنين من الزمان، واختراع الصين لحبر الطباعة.

المرحلة الثانية: مرحلة فن الطباعة البارزة بالفرشاة على الورق، وتذكر المصادر التاريخية أن الكتب الخمسة الكلاسيكية التي حرص الصينيون على قدسية نصوصها حُفرت بهذه التقنية في عهد أسرة "هان" وكان ذلك بناء على توجيه من الإمبراطور "لنج تي" عام ١٧٥م.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكليشهات المعدنية، التي طُبع عن طريقها في القرنين السادس والسابع صور صغيرة لبوذا على مدرجات من الورق الخفيف أو القماش أو الحرير، ويرجح أن هذه التقنية استخدمت للمرة الأولى في عهد أسرة "تانج" بين السنوات ٦١٩ و٧٠٠م، وأقدم نص عُثر عليه مطبوعًا بهذه التقنية يتألف من سبع وريقات، وهو لكان- يوان تساباو، ويرجع تاريخه لما بين سنة ٧١٣ و٧٤٢م، وهو محفوظ الآن عند أسرة يانج في دجيانج لنج بمقاطعة هو به.

بجانب تقنية الطباعة، قام الصينيون باستخدام أدوات كتابية متعددة، كالأقلام المدببة الأطراف، والأقلام ذات الأطراف المهدبة على هيئة فرشاة، التي يقال إن مكتشفها زعيم عسكري يُدعى تين Tin، ويطلق عليها

باللغة الصينية اسم بي BI، وهي عادة مصنوعة من وبر الجمل، كما استخدم الصينيون ريش الطيور والأقلام المعدنية.

وكان استخدام هذه الأدوات يتوقف على نوع المادة الكتابية والوسيط المستخدم، فللعظام كانوا يستخدمون الأقلام الخشبية أو المعدنية المدببة الأطراف، وللحرير كانوا يستخدمون البوص الطري، والفرشاة الـ (بي)، وللورق كان يستخدم عدة أدوات على حسب نوع الكتابة المطلوبة.

وقد عرف الصينيون أيضاً تقنية صناعة الأحبار، ويُعد الحبر الصيني الذي يُصنع من السخام أو أسود العاج المخلوط مع الصمغ والغراء، من أقدم الأحبار المستخدمة في الحضارة الصينية، ويرجع تاريخه إلى حوالي ١٢٠٠ ق.م، وهو حبر أسود لا يتغير لونه على مر الزمن. أما ما يسمى بالحبر القياسي الذي كان يصنع عن طريق استخدام حامض التانيك، وهو الأكثر استخدامًا وشيوعًا من النوع الأول، فيرجح أن يكون قد عُرف منذ القرن الثاني الميلادي، وأصبح أكثر انتشاراً واستخدامًا لسهولة استعماله وامتيازه بالانسيابية.

عرفت الصين أشكالاً متعددة من الكتب، فقد استُخدمت الألواح الخشبية التي تُنقش عليها الكتابة عن طريق الحفر بآلة حادة، ثم تطورت بعد اكتشاف الأحبار، وكتب عليها بأقلام الغاب الرفيع المغموسة في الأحبار، للأسف لم يصلنا من هذا الشكل إلا القليل، نتيجة إلى الأمر الذي أصدره الإمبراطور الصيني تسن شيهو انجتي Tsin Shihuantgi عام ٢١٣ ق.م بإبادة جمع الكتب، في محاولة منه لعقاب مؤلفي الكتب الذين تجرأوا على معارضته ونقد نشاطه السياسي.

وكانت النتيجة حرق جميع الكتب التي أُنتجت حتى ذلك العهد، ولم ينجُ منها إلا أقل القليل، أما الكتب الخشبية التي أُنتجت بعد ذلك، فقد كان يتم دفنها تحت الأرض، مما أدى إلى تلف معظمها وفساده.

أما كتب الحرير فقد ظهرت في وقت لاحق، وبدأت باستنساخ الآداب القديمة التي ترجع إلى عصر كونفوشيوس **Confucius** في القرن السادس ق. م وامتازت كتب الحرير بالمرونة والنعومة والبريق والقابلية للطي وسهولة التخزين والحفظ، وإنْ كانت تكلف غالبًا في صنعها وشرائها.

ومن البديهي أنه بعد اكتشاف الورق في الحضارة الصينية، بدأ الكتاب يأخذ شكله الورقي الجديد الذي استمر به إلى الآن.

يمتاز الصينيون عن غيرهم من الشعوب بأن تراثهم الفكري، كان إنتاجًا أصيلاً نابعًا من بيئتهم وثقافتهم المحلية، متولدا من بنات أفكارهم، فكانوا شعوبًا مبدعة، لم يقتبسوا عن سواهم إلا في أضيق الحدود.

مجالات الكتابات في الحضارة الصينية:

تنوعت موضوعات الكتابات في الحضارة الصينية، إلا أن الكتابات الأدبية في الحضارة الصينية، تُعد من أقدم كتابات هذه الحضارة، وكانوا ينتجون أدبًا مسرحيًّا وقصصيًّا رفيعًا.

وأقدم الآثار الأدبية الصينية التي نعرفها اليوم ترجع إلى أيام دولة تشر (١٠٢٧ -٢٥٦ ق.م)، ومن الآثار التي اكتشفها علماء هان (٢٠٢٠- ٢٠٢ق.م) وعُرفت بالأدب الكنفوشي، وُجدت مجموعة "شه

شو" وهي عبارة عن أربع مجاميع من الكتب، أهمها مجموعة "منشيوسي"، وهي خمسة كتب تُنسب إلى كونفوشيوس نفسه.

وتتضمن تاريخ العصور القديمة، والتقاليد وحوليات ولاية " لوLu" مسقط رأس كونفوشيوس، ووصفًا للشعائر الدينية، ومجموعة أشعار قديمة (٣٠٥ قصيدة)، و"المدينة الفاضلة".

ومن أهم كتب الأدب القديم، كتاب ألفه لا وتزى في منتصف القرن الثالث ق.م وعنوانه "تادته كنج"، وكذلك مؤلفات الأديب الصيني "تشوانج تزى".

وكانت الكتابات التاريخية، أحد المواضيع المفضلة في الحضارة الصينية، وأقدم كتبهم التاريخية هو ذاك الذي جمعه وهذبه أعظم كُتَّابهم "كونفوشيوس" سمى "كتاب التاريخ". أما أعظم كتب التاريخ على الإطلاق في الحضارة الصينية، ذاك الذي جمعه المؤرخ الصيني " زو- ما - تشين"، وغطى به أحداثًا امتدت إلى ثلاثة آلاف عام من تاريخ الصين.

وكما كان للصين أدباؤها ومؤرخوها فقد كان لها شعراؤها الكبار أيضًا، من أمثال "لى-يو" و"داو-تشين" الشاعر الروائي، و"دو-فو" الشاعر الإنساني.

وفي مجال العلوم اهتم الصينيون بعلوم الجغرافية، ودرسوا الفلك، ونبغوا في الطب، وتفوقوا في علم الحساب والأعداد. ويكفي علماؤهم فخرًا بأنهم أول منْ اكتشفوا صناعة الورق وتقنيات الطباعة.

ويُعد كونفوشيوس Confucius (٥٥١- ٤٤٧ ق. م) واسمه الحقيقي (كونغ- فو-رزهـ)، من أكبر فلاسفة الصين، وأكثرهم شهرة. كانت

وسائله التعليمية شبيهة بوسائل سقراط، تعتمد على الشفاهة، إلا أنه ترك خمسة مجلدات تضمنت أفكاره، وسُميت بـ "كتب القانون الخمسة"، وحرص تلاميذه ومريديه على جمع أقواله وآرائه في كتاب نال شهرة عالمية، وسُمي "الأحاديث والمحاورات".

وظلت تعاليم ومبادئ كونفوشيوس المحرك الأول للفكر الصيني؛ حوالي فترة ألفي عام تقريباً منذ تأسيس أسرة هان، وحتى سقوط أسرة منشو.

المكتبات في الحضارة الصينية:

بالرغم من أن معلوماتنا عن المكتبات في الحضارة الصينية تُعد قليلة للغاية، إلا أن الشواهد التاريخية تؤكد الاحترام العظيم التي كانت تُكنه شعوب هذه الحضارة للفلاسفة والمفكرين والمثقفين منهم.

ويؤكد بعض المؤرخين أن المكتبات في الحضارة الصينية القديمة كانت تُقام خصيصًا لتستخدمها هذه الطبقة المميزة من المفكرين والأدباء الصينيين، بجانب طبقة الحكام وعلية القوم.

وقد حافظت المكتبات في الحضارة الصينية على موروثات الثقافية والعلمية والعقائد للحضارة الصينية، وطورتها. وكان لذلك المخزون الفكري أثره العميق في المجتمع الصيني، والمجتمعات الآسيوية المحيطة به، بالرغم من أن الحضارة الصينية لم تتأثر بالتقلبات والتدهور في الحياة الثقافية والعلمية، التي كانت السمة المميزة لفترة العصور الوسطى في أوربا.

إلا أن الحياة التعليمية والثقافية في المجتمع الصيني المتمثلة في المؤسسات التعليمية والمكتبات، لم تكن متاحة إلا للطبقة المميزة في المجتمع من علية القوم والحكام والأثرياء ومنْ في حكمهم، كما أن الفرصة كانت متاحة أيضاً للمفكرين والفلاسفة والأدباء والمتمتعين بمكانة عالية في المجتمع الصيني.

المراجع والمصادر

- عمر محمد التومي الشيباني، ١٩٨٣م.(فلسفة التربية الإسلامية)
- الكيلاني، ماجد سرحان، بيروت: مكتبة الريان، ١٩٩٨م. (فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة).
- بكر، عبد الجواد سيد، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م (فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف).
- مرسي، محمد منير، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م. (فلسفة التربية في الإسلام فلسفة التربية : اتجاهاتها، مدارسها).
- رفقي ظاهر، مصر، مكتبة النهضة، ١٩٨١م. (فلسفة التربية في الإسلام : عرض وتحليل لجوانب المنهج الإسلامي في تربية الشبان)

الفهرس